مجلة كلية الآداب

مجلة حولية محكمة - تصدر عن كلية الآداب - جامعة عدن

في هذا العدد

- المنهج العلمي عند بوبر: من الاستقراء والتبرير عند هيوم إلى منطق الكشف والتقدم العلمي.
- الأستاذ احمد محمد نعمان من السلفية إلى الحداثة.
- تنمية المنشآت الصغيرة والبالغة الصغر في البلدان النامية.
- موسوعة ابن خلدون.
- من الجهود الصوتية والصرفية عند ابن دريد.
- حذف الهمزة وإثباتها في قراءة أبي عمرو بن العلاء دراسة صوتية - صرفية.
- جمرك ميناء عدن منذ منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن التاسع الهجري.
- السمات العامة للنظام الإداري والمالي في عهد الدولتين الرسولية والطاهرية 626 - 945 هـ.
- الرق في اليمن من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجري / القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر ميلادي.
- العمارة الطينية في وادي حضرموت (مزارات قرية شعب نبي الله هود عليه الصلاة والسلام نموذجا).
- واقع الصحة النفسية في الجمهورية اليمنية.

العدد الثامن نوفمبر 2011م

دار جامعة عدن للطباعة والنشر

بريد الكتروني: unipress@y.net.ye

الـــــرّق فـــي اليـــمن

من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجري / القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الميلادي

د. طه حسين عوض هُديل

أستاذ مساعد- كلية التربية شبوه

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية لظاهرة مهمة عرفتها بلاد اليمن خلال تاريخها الطويل، لاسيما في العصر الإسلامي، وهي ظاهرة الرق أو العبودية، التي شهدت انتشار واسع في الأمصار الإسلامية وغير الإسلامية المحيطة باليمن في ذلك الوقت، وتبرز أهمية هذه الظاهرة من خلال ما تركته من تغيرات في المجتمع اليمني الذي شهد تنوع كبير في تركيبته الاجتماعية، بعد أن أصبح الرق جزءا لا يتجزأ منه، إثر انتشار أسواق العبيد في العديد من مدن اليمن المهمة، لما كان لهم من أهمية في حياة الناس هناك، خاصة الميسورين منهم، الذين وجدوا في العبيد ركيزة أساسية لحياتهم، فاعتمدوا عليهم في قصورهم وبيوتهم وأسواقهم وحوانيتهم ومزارعهم وفي غير ذلك من مجالات حياتهم الخاصة والعامة، مما فتح المجال لهؤلاء العبيد لأن يصلوا إلى مواقع أساسية مكنت البعض منهم لحكم اليمن خلال العصر الإسلامي، وتحديداً في المدة من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجري / القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وهي المدة التي احتوتها دراستي هذه. وعلى الرغم من قلة المعلومات المتعلقة بالرق في اليمن في ذلك الحين إلا أنني حاولت الخوض في هذا الموضوع متبع في ذلك المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للمعلومات والوقائع التاريخية، في محاولة لدراسة هذه الظاهرة وتحديد أسبابها وآثارها ونتائجها على المجتمع اليمني الذين تأثر بالرق، وهو ما سوف نلاحظه من خلال نقاط ومحاور البحث، وأهم نتائجه واستنتاجاته.

تمهيد:

يُعد الرّق ظاهرة اجتماعية تقوم على استغلال إنسان قوي لإنسان ضعيف بدلاً من قتله، وقد عُرفت هذه الظاهرة عند جميع الشعوب على اختلاف أعراقها وأديانها، وأخذت بالتطور عبر الزمن لتلبي الحاجة الملحة لبعض الناس إلى الرقيق في حياتهم، حتى أدى ذلك إلى تنوع مصادره بين الشعوب، علماً بأن نشأة الرّق لم تأت دفعة واحدة بل تطورت مع التطور الذي شهدته الإنسانية، وقد عرفت اليمن كغيرها من البلدان الرّق وتعاملت به، وشكّلت الفترة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي إلى عصر الدولة الأيوبية في اليمن أكثر الفترات التي تردد فيها ذكر أخبار الرقيق التي لم ترتبط بجانب معين من حياتهم بل بجوانب مختلفة منها، وقد فرضت متطلبات الحياة العامة على الناس في اليمن ضرورة وجود العبيد وزيادة أعدادهم والتنويع في أجناسهم، لاختلاف المهام التي يُراد منهم تأديتها، وتبعاً تنوعت أخبارهم في المصادر التي تناولت تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، على الرغم من أن الجانب السياسي قد أخذ نصيب الأسد منها، مع شحة أخبارهم الأخرى المتعلقة بأوضاعهم الخاصة.

إن مما يُعطي لهذا البحث أهمية خاصة، من وجهة نظرنا، أنه يقدم دراسة لمدة زمنية تزيد عن أربعة قرون، قامت فيها عدد من الدول التي عاصرت بعضها البعض. وعلى الرغم من طول المدة المذكورة فإن المعلومات المتعلقة بالرقيق قليلة، وحقيقة فإن البحث في المصادر عن كل ما يتعلق بهم، ودراستها دراسة تاريخية دقيقة وتحليلها والتعليق عليها، قد حتم علينا تقسيم الدراسة إلى محاور عديدة ناقشنا فيها كل ما يخص الرّق في اليمن في المدة المذكورة، مع إعطاء دراسة تمهيدية عن نشأة الرّق، ومصادره، وموقف الإسلام منه، وتطور الرّق في اليمن حتى أواخر الدولة الأيوبية، وتجارته، وأسباب انتعاشها، وأهم مصادر الرقيق، وأسواقهم، وأجناسهم، وموقعهم في المجتمع، والأعراف المنظمة لعلاقاتهم بأسيادهم، وأهم الأعمال التي زاولوها، وفضلاً عن ذلك تطرقنا إلى الجواري وأجناسهن وأوضاعهن، والأعمال التي مارسنها، وأنهينا هذا البحث بذكر الآثار التي ترتبت على انتشار تجارة الرقيق، وأهم نتائج هذا البحث واستنتاجاته.

أولاً: نشأة الرّق:

لم يكن الرّق[1] الذي يعد من أبشع صور الانحراف الإنساني من صنع الإنسان البدائي المتوحش، الذي كان يعيش على الصيد والقنص وجني الثمار الطبيعية ويتغذى منها، بحيث أدى نمط الحياة هذا إلى شيوع روح التعاون والمساواة والعمل المشترك بين أفراد ذلك المجتمع البدائي، وإنما كان الرّق من صنع الإنسان المتحضر الذي اشتغل بالزراعة، واستقر على ضِفاف الأنهار ليستفيد منها في ري الأرض واستخراج خيراتها، فأنشأ بذلك المدينة التي ظهرت فيها الملكية الفردية: متمثلة في ملكية الأسرة التي كانت في بادئ الأمر تنتج لنفسها وتصنع ما تحتاج إليه. ولما تطورت حياة المدينة بعد اتساعها لم تعد الأسرة تنتج لنفسها فحسب بل أخذت تنتج لغيرها، فزادت الحاجة إلى العمل وإلى تنظيمه، وأضحى العمل ضروريا لتنمية الملكية وزيادتها، وأصبحت الحاجة إلى الأيادي العاملة ضرورة ملحة لتطوير هذه الملكية، وقد وجدت دولة المدينة في الأسرى الذين يقعون في قبضتها أثناء الحروب التي كانت تنشب بين المدن أداة طيعة للعمل، وأصبح هؤلاء الأسرى أرقاء مملوكين للدولة يُستفاد منهم في أعمال التعمير، ومنهم من تبيعه الدولة لأرباب الأسر للاستفادة من قوته البدنية أو مزاياه الفكرية، وهكذا أصبح الرّق في المدينة نظاماً قانونياً وأداة لتنمية رأس المال، وبقيام نظام الرّق في المدينة انقسم المجتمع المدني إلى فئتين: فئة الأحرار المالكين، وفئة الأرقاء المملوكين[2]، وقد أدى تطور نظام الرّق إلى ضرورة تعدد مصادره لزيادة الحاجة إلى العبيد، فأصبح إلى جانب الأرقاء بالأسر في الحروب، أرقاء بسبب الفقر وبيع النفس مقابل المال، لافتقار المدين وعجزه عن تسديد دينه واسترقاقه بسبب ذلك[3]، إضافة إلى الرّق بسبب الجريمة، وهو ما عُرف عند العرب في الجاهلية بـ (الخلع)، أي: أن يُخلع الجاني من قبل عشيرته وأهله لارتكابه جريمة مشينة فلا ينصره أحد ويصبح عرضة للقتل أو الأسر[4]، علاوة على الرّق بسبب الخطف: إذ عادة ما يقوم بعض القراصنة الذين يهاجمون التجمعات التي تعيش في القرى الساحلية في أفريقيا وغيرها بأسر أبنائها وبيعهم في أسواق النخاسة[5].

وقد دعا الإسلام إلى الرفق بالمستضعفين وعلى رأسهم الرقيق، وأمر بمعاملتهم معاملة جيدة تحفظ لهم كرامتهم الإنسانية، لاسيَّما أن الإسلام لم يجعل الرّق وسيلة قهر وإذلال: وإنما جعله وسيلة لنقل العبيد من الكفر إلى الإيمان، ودمجهم في المجتمع الإسلامي، ولم يجز استرقاق الإنسان الحر حتى بإرادته، كما لم يجز استرقاق المدين والمعسر والمخطوف والآمن في بلده وصاحب الجريمة: وحصر مصدر الرّق في أسرى

الحروب المشروعة ممن يحارب المسلمين من المشركين، علماً أنهم لا يُسترقون إلاّ بعد تبليغهم بالدعوة، غير أن الرّق لم يبق في الحدود التي رسمها الإسلام، ذلك أنه بمجرد أن توقفت الفتوح الإسلامية في العصر العباسي أصبح الرقيق المستورد هو المصدر الرئيس للرّق، وأصبحت تجارة العبيد هي السائدة بعد أن أضحت تدر على أصحابها رزقاً واسعاً، وقد دعا الإسلام إلى العتق وحث عليه وجعله قربى إلى الله تعالى، ونوّع في طرائقه لتوسيع المخرج من الرّق، وهو ما ساعد الكثير من العبيد على الحصول على حريتهم التي وهبها لهم الدين الإسلامي[6] .

ثانياً- تطور الرق في اليمن:

كانت اليمن من البلدان التي عرفت الرّق منذ القدم بسبب التطور الذي شهدته في جوانب حياتها المختلفة، وحاجتها الماسة إلى أيادي عاملة تقوم بما عجز عن القيام به الأحرار في مزارعهم وقصورهم، فضلاً عن تنفيذ الأعمال التي يأنف العرب من القيام بها، التي نظروا إليها على أنها تحط من كرامتهم، مثل الخدمة في البيوت وحراستها وتنظيفها، والعناية بالحظائر، ورعي الماشية، والعمل في الأرض والجندية، والقيام ببعض الحرف التي لا يقوم بها إلاّ من هم دونهم في المنزلة[7] .

وقد شهد الرّق في اليمن تطوراً كبيراً عبر العصور، وهو ما لاحظناه في التغيرات التي حدثت في حياة الرقيق منذ العصور القديمة وحتى العصور الإسلامية، وقد عرفت العصور القديمة حضوراً واضحاً للرقيق في حياة عامة الناس على اختلاف مستوياتهم، وهو ما تثبته النقوش الأثرية المكتشفة التي احتوت على بعض الكلمات والعبارات التي كتبت بالمسند وتعبر عن جوانب من حياة العبيد، وقد عرف العبد في هذه النقوش بألفاظ مختلفة منها لفظ: " عبدم " أي عبد، وَ " عبدن " أي عبد، وكانت هذه الكلمة تشمل العبيد السود والبيض دون تمييز، في حين وردت في نقوش أخرى كلمات لها صلة أيضاً بالرقيق مثل: "رب ملك"، أي ربيب الملك أو عبد الملك، وكان هؤلاء يشبهون عبيد الدولة الواقعين تحت مُلك الحاكم أو الملك[8] .

وفي ضوء ذلك، عرفت اليمن رقيقاً عرفوا برقيق الأرض، وهم من يعتقد بأنهم من عرفوا في النقوش بلفظة " أمتي "، و " أدومت "، وقد ارتبط هؤلاء بالأرض، حتى أنهم عدوا جزءاً منها، وإذا بيعت الأرض بيعوا معها[9]، في حين تذكر نقوش سبئية متأخرة ألفاظاً أخرى إرتبط أصحابها بأعمال تتصل بالبناء والسقاية والفلاحة، مثل لفظة " مادبت "، وغيرها من الألفاظ التي تدل على أن المقصود منها التابعون غير الأحرار أو العبيد[10]، ومن أشهر من عرف بامتلاكه للعبيد والإماء في تاريخ اليمن القديم سيف

بن ذي يزن، حتى أنه أهدى عدداً كبيراً منهم إلى عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله (ﷺ) ومن وفد معه من قبائل العرب عندما جاؤوا ليهنئوه بانتصاره على الأحباش[11].

ومن خلال الإشارات الواردة في النقوش نستدل على أنه قد وجد في اليمن القديم أعداد من الرقيق الذين كانوا يجلبون إليها بطرق مختلفة، منها: التجارة أو الحرب والأسر أو الخطف، لهذا عندما جاء الإسلام كان العبيد موزعين بأعداد كبيرة بين القبائل اليمنية، وفي أراضي وقصور الملوك ورجال الدولة والأثرياء من كبار الشخصيات الاجتماعية، وتورد المصادر بهذا الصدد أنه كان لربيعة بن ذي مرحب من حمير بحضرموت العديد من العبيد[12]، وكان لبني عبد كلال من حمير العديد منهم موزعين على الأراضي الزراعية التابعة للقبيلة لفلاحتها وحراستها، وكان لبني سفيان بن عبد كلال ثمانون مملوكاً، يقال للرجل منهم: " دومي "، كما كان لدى كلاع عدد كبير من الرقيق تتراوح أعدادهم بين 4 – 12 ألف عبد، وكان لبني طريف من كندة عبيد، ولعك ذي خيوان عبيد، ولهمدان رقيق[13]، ولحمزة بن أيفع الهمداني أربعة آلاف عبد أعتقهم كلهم عندما هاجر في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى بلاد الشام فانتسبوا في همدان[14]، كما إمتلك بعض الأمراء الرقيق في أثناء ولايتهم لليمن من قبل الخلفاء الراشدين أمثال يعلى بن أمية والي اليمن من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، الذي كان لديه العديد من العبيد، وقد عرف عنهم العنف وإيذاء الناس، وعلى الرغم من أفعالهم التي أضرت الناس فإن يعلى لم يغير عليهم حال أو يحاسبهم، ويبدو أنه كان يرى فيهم قوته التي يحتمي بها في اليمن من رجال القبائل، حتى أنه ترك لهم حرية التصرف في تعاملهم مع الرعية، الأمر الذي أغضب الخليفة مراراً، ودفعه إلى اتخاذ إجراءات قاسية ضده، ولكن موت عمر وتولي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ساعد على إبقاء يعلى على ولاية اليمن[15]. وقد نلاحظ أن أعداد الرقيق التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية مبالغ فيها، ومع ذلك فهو دليل قاطع على انتشار الرق وتجارته في اليمن منذ القدم.

لقد شهدت اليمن في المدة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي إلى أواخر عصر أيوبية اليمن حالة من التفكك والاضطراب السياسي، الذي نتج عنه قيام عدد من الدول التي عاصرت بعضها بعضاً، أو قامت بعضها على حساب بعض، وقد دفعت هذه الأوضاع حكام هذه الدول الذين كان بعضهم من خارج اليمن إلى البحث عن عزوة للدفاع عنهم عند الحاجة، والوقوف معهم في وقت الضرورة، فأخذوا يستوردون الرقيق من أسواق النخاسة لهذا الغرض، ولأغراض شخصية كانوا في حاجة ماسة إلى من يخدمهم فيها، مما أدى إلى وجود أعداد كبيرة من العبيد في أرض اليمن، ونتيجة

لبقائهم وارتباطهم بهذه الأرض لما لقوه من اهتمام وعناية من قبل سادتهم لم يعد هؤلاء مجرد خدم أو عمال زراعة أو جند عاديين بل برز من بينهم كبار القادة والأمراء والأثرياء، ووصل الأمر ببعضهم إلى إقامة مُلك له في أجزاء من اليمن، ومنافسة أبنائها في حكمها، وقد شجع هؤلاء العبيد الذين وصلوا إلى الحكم وغيرهم من حكام اليمن على زيادة استيراد الرقيق؛ فشهد الرَّق تطوراً ملحوظاً خلال حكمهم حتى أن أخبار الرقيق صارت جزءاً من تاريخهم. وتعد دولة بني زياد التي قامت في تهامة واتخذت من زبيد عاصمة لها (205 – 444هـ / 820 – 1053م)[16]، ودولة بني يعفر الحواليين من حمير في شبام وصنعاء (225 – 393هـ / 839 – 1003م) من أكثر الدول التي عملت على استجلاب الرقيق بأعداد كبيرة إلى اليمن، مما شكل عبءاً كبيراً عليها، لاسيَّما أن أراضيها كانت تضم أعداداً منهم، وقد كان أكثرهم من بقايا العبيد الذين عمل الأحباش على استجلابهم في مدة الصراع مع سيف بن ذي يزن وما قبلها[17]، فضلاً عمَّا امتلكته القبائل، هذا إذا ما علمنا بأن حاجة بني زياد إلى الرقيق جاءت نتيجة لرغبتهم في إيجاد عنصر غير يمني يمكن أن يعتمدوا عليه في تثبيت وجودهم في اليمن، خاصة أنهم كانوا لا ينتمون إلى هذه الأرض، وقد رأوا أن خير وسيلة لتوطيد نظام حكمهم هي الاعتماد على عنصر غير عربي بعدما رأوا أن اليمنيين يميلون دائماً إلى الاستقلال ومعارضة أي حكام ليسوا منهم، لذلك اعتمدوا على العبيد[18]، فأخذوا يجلبون الأحباش الأرقاء بكثرة إليها، واتخذوا جندهم منهم، وقد بلغ ما يستوردونه سنوياً ألف رأس من الرقيق من بلاد النوبة والحبشة[19].

وفي الوقت نفسه، إهتم بنو يعفر الحواليون المعاصرون لهم باستيراد الرقيق إلى اليمن للاستفادة منهم ومن قدراتهم الجسمانية والعقلية في تسيير أمور دولتهم، فسخروا أكثرهم للعمل في الجندية؛ فكانوا الغالبية العظمى من جيشهم، وذلك ما تؤكده المصادر التي تشير إلى أن جيشهم الذي سيروه نحو صنعاء لحرب الأمير منصور بن عبد الرحمن التنوخي والي صنعاء من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله بن هارون الرشيد بلغ فيه عدد العبيد ألفي عبد، وقد تمكن الأمير منصور من هزيمتهم وقتل نحو ألف عبد منهم، وأسر مثلهم (ألف عبد)، بل إن بعضهم تولى قيادة جيوش بني يعفر أمثال طريف بن ثابت الذي كان من عبيد يعفر الحوالي، وأهم قادته العسكريين[20].

ولقد أدت زيادة عدد العبيد في دولة بني يعفر إلى أن يشكل هؤلاء فيما بعد خطراً كبيراً عليها، لخلافهم مع حكامها وتجرئهم عليهم دون خوف منهم، وقد شهدت سنة 290هـ / 902م أشد أوقات الخلاف بين آل يعفر وعبيدهم (مواليهم)، وبلغ من

ضعف آل يعفر أمام هؤلاء إلى درجة أنهم لجأوا إلى الإمام الزيدي الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم صاحب صعدة، على الرغم مما كان بينهم من خلاف[21]، كما عانى بنو يعفر من خيانة بعض عبيدهم ممن كانوا يعتمدون عليهم اعتماداً كلياً في بعض الأمور منها: الولاية على بعض المناطق والحصون[22]، ومع كل ذلك لم يستطع بنو يعفر الاستغناء عن العبيد لما كان لبعضهم من خبرة وحكمة في التدبير والتخطيط، أمثال: الحسن بن كيالة وجراح بن بشر اللذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في التصدي للإمام الهادي الذي فشل أمام هؤلاء العبيد من دخول صنعاء والسيطرة عليها سنة 294هـ / 906م[23]. وقد بلغ من مكانة العبيد في عهد بني يعفر إلى أن أصبح اسمهم مقروناً باسم حكام هذه الدولة، وانتصاراتهم لا تقوم إلا بهم، لدرجة أن المصادر عندما تذكر آل يعفر فإنها كثيراً ما تتبع ذلك بعبارة ومواليهم، ولعل خير مثال على ذلك، أن بني يعفر جمعوا في سنة 298هـ /910م مواليهم وعبيدهم بعد موت الإمام الهادي وخرجوا من ذمار إلى صنعاء للتصدي للقرامطة وزعيمهم علي بن الفضل القرمطي الذي سيطر على صنعاء وأراد نشر دعوته القرمطية فيها وفيما حولها من المخاليف، وقد حقق بنو يعفر انتصارات كبيرة ضد ابن الفضل بفعل قوة عبيدهم وحنكتهم[24]، ولذلك ظلت صنعاء بيد آل يعفر ومواليهم مثلما تذكر المصادر، مع كثرة خلافاتهم لاسيَّما مع كبار القادة من العبيد والموالي أمثال على بن فردان الذي كان من ابرز موالي بني يعفر، وقد بلغ من قدراته أنه سيطر على صنعاء في سنة 345هـ / 956م، مما أثار حفيظة قبائل المنطقة ضده لفعلته هذه، وقد أدى قيام هذه القبائل عليه إلى إثارة بقية موالي وعبيد آل يعفر ضدهم، ودخلوا معهم في حروب هزمت على أثرها قبائل المنطقة وانتصر الموالي ومن ساندهم من بني يعفر المؤيدين لهم، لهذا بقيت صنعاء ومخاليفها بيد بني يعفر فيما بعد مع ما تعرضوا له من أخطار[25].

غير أنه بالرغم مما دخل دولة بني يعفر من الرقيق فإن هذا العدد أخذ في الازدياد أضعافاً في دولة بني زياد المعاصرة لها، فقد أكثروا من استجلاب الأحباش الأرقاء إلى دولتهم، واعتمدوا على أكثرهم في أعمال الجندية، وبرز منهم العديد من القادة والوزراء، وظل نفوذهم في ازدياد حتى ورثوا مُلك سادتهم من آل زياد، إذ أنه عندما توفي أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد سنة 362هـ / 972م كفل ابنه الصغير عبدَ الله، وقيل زياد، وقيل إبراهيم أخته هند بنت أبي جياش وعبدٌ حبشي لأبيها يدعى رشيد، ولما مات رشيد كفل الطفل عبدٌ آخر من عبيد رشيد يسمى حسين بن سلامة[26] عُرف عنه أنه كان حازماً عفيفاً كثير الصدقات وعمل الخيرات والتعمير

والبناء، وظل حسين بن سلامة يحكم دولة بني زياد بالعدل والمساواة حتى توفي سنة 426هـ / 1034م، وقد ساعدت مدة حكمه على أن يتعاقب العبيد على حكم اليمن، فبعد موته كان المتولي لأمر الدولة الزيادية الأمير علي بن المظفر بن علي بن ابراهيم بن زياد، وقد اعتمد هذا الأمير على العبيد والموالي في تسيير أمور دولته، فقام بإسناد أعمال الوزارة إلى أحد هؤلاء العبيد والمعروف بالقائد رشيد أو نفيس مثلما ورد اسمه في المصادر، كما اسند أعمال تهامة (الكدراء والمهجم ومور) لعبد أخر حبشي من عبيدهم يسمى نجاح[27]، وقد أختلف نفيس مع بعض قادة آل زياد، ودخل في صراع معهم، مثل القائد ابن القاسم، وأسفر ذلك الصراع عن مقتل القائد ابن القاسم، والاستيلاء على زبيد والاستقلال بها، ومصادرة ما بها من أموال وخزائن تابعة لبني زياد، وقد اغضب هذا الأمر الأمير الزيادي علي بن المظفر الذي خرج هاربا نحو المهجم، وهناك استعان بالعبد نجاح متولي الأعمال التهامية، الذي طلب النجدة من جميع أهل تهامة وأهل الجبال المناصرين للأمير علي بن المظفر، ولما تجمع إليه عدد كبير منهم سار بهم نحو زبيد لمحاربة نفيس، وهناك دارت عدة معارك، استمرت ما بين ثلاث إلى خمس سنين، وفي آخرها تمكن نجاح من قتل نفيس، والسيطرة على زبيد سنة 432هـ / 1040م، وقد اتجه نجاح بعد ذلك الانتصار نحو تثبيت وتوسيع سلطانه تحت حكم آل زياد الذين أعطوا له مكانة كبيرة لما حققه لهم من انتصارات، وبلغ من مكانته لدى الدولة الزيادية والخلافة العباسية في بغداد إلى أن يكتب اسمه على العملة إلى جانب الأمير الزيادي علي بن المظفر والخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة 439هـ / 1047م، وسنة 444هـ / 1052م التي في أواخرها توفى الأمير الزيادي علي بن المظفر دون أن يكون له وريث يتولى السلطة، وبوفاته زالت دولة بني زياد من اليمن بعد أن حكمت من سنة 205 إلى سنة 444هـ / سنة 820 إلى سنة 1052م، ثم انتقل الحكم إلى عبيدهم من آل نجاح[28].

لقد كانت مسألة تولي أمر اليمن من قبل عبد حبشي خلفاً لسادته بني زياد سابقة لم يشهد مثلها تاريخ اليمن الإسلامي قبل ذلك، وهي دليل على أن العبيد بلغوا مكانة عالية أوصلتهم إلى الحكم، إضافة إلى أن ذلك دليل آخر على أن بني نجاح ما فعلوا ذلك إلا وهم يعلمون أن هناك من سوف يدافع عنهم عند الشدة؛ وهو ما يؤكد وجود أعدادٍ كبيرة من العبيد المؤيدين لهم، إضافة إلى من سوف يعملون على شرائهم ليكونوا لهم سنداً إذا ما ضاقت بهم الأمور، وقد وصلت ثقة نجاح بنفسه إلى أنه بمجرد استقلاله بدأ بالتطبع بطبائع الملوك فركب المراكيب واستعمل المظلة وضرب السكة باسمه، وعندما أراد أن يكسب حكمه الصفة الشرعية راسل الخلافة العباسية بالعراق

وبذل الطاعة لها، وخوطب بالملك وبمولانا، ونعت بالمؤيد نصير الدين، ولم يزل مالكاً لتهامة قاهراً لأهل الجبال[29]، وهو معتمد على العبيد في تسيير أمور دولته، وقد سار من جاء بعده من أبنائه على نفس ما سار عليه والدهم في الاعتماد على العبيد.

وعلى أية حال، فقد صار العبيد أداة بيد سادتهم، وكثيرا ما كان هؤلاء السادة يستفيدون منهم في تنفيذ بعض المهام الصعبة التي قد يعجزون عن تنفيذها، منها عمليات القتل لأعدائهم الذين من الصعب عليهم الوصول إليهم، وهو ما فعله علي بن محمد الصليحي – مؤسس الدولة الصليحية الإسماعيلية (439 – 532هـ / 1047 – 1138م) المعاصرة للدولة النجاحية السنية – مع نجاح الذي كان على خلاف دائم معه حول المذهب الإسماعيلي، إذ أظهر لنجاح وده ثم أهداه جارية حسناء تولت عملية قتله بالسم سنة 452هـ / 1060م[30]. كما حاول علي الصليحي التخلص من سعيد الأحول بن نجاح خوفاً من الانتقام لمقتل والده، فاستعان بعبيده الذين بلغ عددهم خمسة آلاف عبد من حملة الحراب[31]. وقد استمر الملوك يستعينون بعبيدهم لتصفية خصومهم، حتى أن سعيد الأحول لما اعتزم الانتقام من الصليحي الذي قتل والده ودبر محاولة لقتله استعان بخمسة آلاف عبد حبشي[32]، ولما استعاد زبيد من الصليحي أعد جيشا من عشرين ألف عبد حبشي من حملة الحراب لحمايته من أي اعتداء قد يتعرض له[33].

وكيفما كان الأمر، فقد أدت عملية الاستكثار من الرقيق في المدة المذكورة إلى أن تصبح اليمن مليئة بهم لاسيما في بعض المدن التي امتلك فيها الناس الكثير منهم مثل زبيد التي كانت مكتظة بالعبيد الأحباش المملوكين لبني نجاح، حتى أن جياش بن نجاح عندما أراد استعادة مُلك أبيه في زبيد فيما بعد جمع كم هائل منهم من حوله فكانوا خير عون له، وبهم تمكن من السيطرة على زبيد التي عندما قوي أمره فيها تجمع من حوله عشرون ألف عبد كانوا مضطهدين في هذه المدينة، ثم خرجوا من بين سكانها ليعملوا تحت إمرته جنوداً[34]. وقد ازداد نفوذ الرقيق في عهد الملك فاتك بن جياش وعظم أمرهم في أيامه بعد أن صار لكل أمير من أمراء بني نجاح عدد منهم، وحرص كل أمير على أن يقوي من شأنه بعبيده، فلما مات فاتك بن جياش سنة 503هـ / 1109م خلفه ولده منصور بن فاتك الذي كان صغيرا دون البلوغ فملكته عبيد أبيه، وفي هذه المدة تحديداً إنقسم عبيد بني نجاح إلى قسمين: قسم عرف بعبيد فاتك، وقسم عرف بعبيد منصور بن فاتك، وقد جاء هذا الانقسام بعد أن اشتد الخلاف بين أمراء بني نجاح الذين اعتمدوا في خلافاتهم اعتماداً كلياً على العبيد، مما زاد من شأن العبيد وشجعهم على الخروج على أمرائهم من بني نجاح وتحالفهم مع

أعدائهم الصليحيين الذين ساندوا فريقاً على الآخر بهدف أضعافهم وضرب بعضهم ببعض [35]. وقد تميزت الحقبة التي حكم فيها منصور بن فاتك وعبيد أبيه ومن جاء بعدهم بأن الوزارة لم تخرج عنهم، فقد تولاها عدد منهم، وظلوا يتولونها حتى زالت دولتهم على يد علي بن مهدي الحميري الرعيني سنة 554هـ / 1159م، إذ لم يعد لبني نجاح سوى الأمور الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس، والسكة والركوب بالمظلة في أيام المواسم، أما الأمر والنهي والتدبير واقامة الحدود واجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء، وأشهرهم: أنيس الفاتكي، ومَنّ الله الفاتكي [36]، وزريق الفاتكي، وأبو محمد سرور أمحري الفاتكي، عبد السيدة علم أم فاتك بن منصور [37]، وقد سمحت المكانة الرفيعة لعبيد بني نجاح وتولي بعضهم لأعلى المراكز بالتدخل في أمور الحكم، فكانوا يأمرون وينهون في حضرة سادتهم، ويتصرفون في أمور كبيرة دون خوفٍ منهم، حتى أن آخر ملوك بني نجاح الملك فاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش قتل على أيديهم سنة 553هـ / 1158م، وبموته زالت دولة بني نجاح [38].

وفضلاً عن ذلك، فقد استمر ملوك الدول التي كانت معاصرة لدولة آل نجاح مثل الدولة الصليحية، والزريعية التي اتخذت من عدن عاصمة لها (532 – 569هـ/ 1137 – 1173م) [39] في استجلاب الرقيق من الحبشة، حتى أن قصورهم امتلأت بهم، كما اكتظت بهم بيوت الأمراء والأثرياء، وشهدت عواصم هذه الدول وجود غير عادي للعبيد، إذ يذكر أنه قد وجد في قصر الداعي علي بن محمد الصليحي في صنعاء العديد من العبيد والجواري الأحباش، في حين كانت قصور المفضل بن أبي البركات في ذي جبلة مليئة بهم [40]، وكانت حصون الأعز علي بن سبأ بن أبي السعود المتوفى سنة 535هـ / 1140م [41] تحتوي على أعداد كبيرة منهم، كما امتلك عثمان الغزي مقدم الغز في أيام جياش بن نجاح العديد من العبيد والجواري، واحتوت دور الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير مفلح الفاتكي على العديد منهم [42]، وقد بلغ الأمر بملوك آل زريع إلى الاعتماد على العبيد في إدارة شئون دولتهم، فكان أشهرهم بلال بن جرير المحمدي، الذي كان قائداً للداعي محمد بن سبأ ونائباً له في عدن، وجوهر بن عبد الله المعظمي الحبشي الذي كان أميراً على حصن الدملوة في عهد محمد بن سبأ وولده عمران، ثم أصبح وصياً على أولاده بعد وفاته، وبقي متحصناً بالدملوة بعد سقوط دولة آل زريع وقيام الدولة الأيوبية حتى عهد السلطان طغتكين الذي اشترى منه الحصن فخرج مع أولاد الداعي عمران بن محمد إلى الحبشة سنة 584هـ / 1188م [43].

وقد كان الرقيق من أهم الغنائم التي يحصل عليها الناس في الحروب وبعد انتهاء المعارك، شأنهم شأن ما يغتنم من أموال ومواشي ومراكيب وغيرها، فعندما زالت الدولة النجاحية على يد آل مهدي كان علي بن مهدي يأمر رجاله عند مهاجمة أي من أعمال تهامة أن يهتموا بأخذ وغَنِمَ أموال الناس هناك، وحثهم أكثر على الرقيق والأنعام، وعندما استقرت الأمور ودانت البلاد له أخذ في السيطرة على أموال وأملاك آل نجاح وعبيدهم الذين يموتون، فتكونت لديه أموال جليلة من العين، وكان أكثر ما ركز على امتلاكه الذراري من الجواري والعبيد من ذوي المكانة والثروة الذين أظهروا له كنوز مواليهم، فتكونت له ثروة كبيرة من المصاغ واللؤلؤ والجواهر والياقوت الفاخر والملابس الجليلة على اختلاف أصنافها(44)، كما تكونت له ثروة أخرى تمثلت بالرقيق الأسود الذين ورث معظمهم من بني نجاح، ومع ذلك فإنه لم يكتف بما معه من العبيد، بل أخذ في البحث عن مصادر أخرى وسهلة للحصول على أكبر عدد منهم، لذلك أعلن تكفير كل من يعارض مذهبه الحنفي وأفكاره وعقيدته، وأمر بقتلهم واستباحة نسائهم واسترقاقهن واسترقاق ذراريهم(45)، وقد زاد ذلك المصدر من أعداد الرقيق المملوكين له من عرب وأحباش لكثرة من كانوا معارضين لما جاء به من أفكار ضالة تكفيرية لا يقبلها دين ولا عقل، وقد يكون لعلي بن المهدي هدف من وراء زيادة عدد الرقيق لديه؛ وهو حاجته الماسة إلى قوات عسكرية تسانده في حروبه ضد أعدائه ومنافسيه، ولحمايته ممن حوله من الرافضين لعقيدته التي جاهر بها، والتي أدت في الأخير إلى القضاء عليه وعلى دولته فيما بعد على يد بني أيوب سنة 569هـ / 1173م.

لقد عُرفت اليمن منذ القدم وفي عصرها الإسلامي لاسيَّما عصر الدول التي ذكرناها سابقاً " الزيادية واليعفرية والنجاحية والصليحية والزريعية والمهدية " نوعاً محدداً من الرقيق هو الرقيق الأسود أو الأسمر الذي كان يجلب من سواحل شرق أفريقيا وبلاد الهند، إلاّ أن هناك نقلة نوعية أحدثها بنو أيوب عند دخولهم اليمن؛ وهي أنهم عملوا على استجلاب نوع آخر من الرقيق هو الرقيق الأبيض الذي كانوا يحصلون عليه من بلاد الترك والرومان، وعرف في التاريخ بالمماليك، إضافة إلى ما كان يتم استيراده من الحبشة والهند، وقد زاد هذا من أعداد الرقيق الذين وجدوا في اليمن، حتى أنه أصبح لكل سلطان من بني أيوب عبيد يهتم بهم وبتنشئتهم، فبرز منهم القادة والولاة الذين إعتمد عليهم بنو أيوب وأمراؤهم في العديد من أمور الدولة، منهم: ياقوت التعزي عبد السلطان المعظم توران شاه بن أيوب، وياقوت القحمي وأبو زبا عبدا السلطان العزيز طغتكين بن أيوب(46)، وقد شكل العبيد والجواري أكثر بطانة

ومستشاري السلطان المعز إسماعيل بن طغتكين، وأصبح أكثرهم أصحاب الرأي في الدولة، مما أثار الحقد في قلوب جنده الذين قاموا بقتله سنة 598هـ / 1201م بسبب العبيد[47]، كما كان للملك الناصر أيوب بن طغتكين عدد من العبيد بلغوا الثلاثمائة مملوك[48]، وكان معظمهم من الفرسان، وقد تميز الناصر بأنه كان يأخذ الغلمان من الرقيق صغار السن ويعمل على تربيتهم في قصوره، ليستفيد منهم عند بلوغهم سن الشباب، كما يذكر أن الملك المسعود بن الكامل بن أيوب كان يمتلك العديد من الرقيق كان منهم مائة عبد حصل عليهم كهدية من قبل أمير مدينة شبام في حضرموت، الذي لم تذكر المصادر اسمه[49].

وفي الوقت نفسه، امتلك الأشراف الزيديون المعاصرون لبني أيوب العبيد في قصورهم وحصونهم، ويعد الإمام عبد الله بن حمزة وأولاده من أكثر من امتلك العبيد، حتى أنهم كانوا يشركونهم في حروبهم الخاصة[50]، كما كان لكبار رجال الدولة والأثرياء العبيد والجواري والخدم: ويذكر أنه كان للقاضي أسعد أمير منطقة حرض من قبل الملك العزيز طغتكين بن أيوب عدد من العبيد والجواري كان أشهرهم مُحير الدين كافور، والجارية زهرة، كما كان للأمير ورد سار والي صنعاء من قبل الملك الناصر أيوب بن طغتكين العديد من العبيد بلغ عددهم مائتين وستين مملوكاً[51].

ومن خلال دراستنا للرَّق في اليمن خلال تاريخها الإسلامي نصل إلى أنه لم يكن هناك عامل محدد يمكن أن نرصده ليكون هو الأساس فيما وصل إليه العبيد من مكانة، فقد كانت هناك العديد من العوامل، منها: قدراتهم العقلية والجسدية، وخبراتهم العسكرية، وضعف قدرات الحكام أمامهم، وهذا ما لاحظناه من خلال اعتمادهم على الكثير منهم، يضاف إلى ذلك علم وحكمة وقوة شخصية بعضهم التي لم تكن موجودة عند سادتهم، وهو ما شجعهم وزاد من قدراتهم ورسخ من وجودهم.

خلاصة القول، إن ما تركته لنا المصادر من معلومات تتعلق بهذه الأعداد من العبيد إنما تدل على أن هناك نشاطاً تجارياً كبيراً شهدته اليمن في الفترة موضوع الدراسة، مما أدى إلى وجود هذا الكم الهائل منهم بعد أن برزوا في جوانب متنوعة من حياة المجتمع اليمني، حتى أن زيادة الطلب عليهم جعل اليمن من بين الأقاليم الإسلامية التي نشطت فيها أسواق النخاسة.

ثالثاً- تجارة الرقيق في اليمن:

تاجر اليمنيون بمختلف أنواع البضائع التي كان لها رواج كبيرٌ في التجارة العالمية عامة والتجارة اليمنية خاصة، وجنى التجار من وراء هذه التجارة أموالاً طائلة أخذوا في استثمارها، وكانت تجارة الرقيق من بين أنواع التجارة التي انتعشت في ذلك الوقت، لاسيَّما في القرن الثالث الهجري، وقد ساعد النهوض التجاري وما كسبه الحكام من أموال في الترفيه على أنفسهم بامتلاك القصور الفاخرة، والأراضي الشاسعة التي عملوا على زراعتها، وأصبحت في حاجة إلى من يخدمها ويقوم بها من الأيادي العاملة، ومن المسلم به أن أي انتعاش تجاري في أي سلعة تجارية لابد أن تكون له أسباب مختلفة أساسية تؤدي إلى زيادة الطلب عليه في السوق، وعلى ما يبدو فإن تجارة الرّق كانت من السلع التي زاد الطلب عليها، لأسباب قد نستنتجها من خلال المعلومات التي وصلتنا من المصادر المختلفة، لعدم إشارة تلك المصادر صراحة إلى هذه الأسباب.

1- <u>أسباب انتعاش تجارة الرقيق</u>: كانت تجارة الرقيق تجارة عالمية تخصص بها أناس تعاملوا مع تجار نخاسة متخصصين، ومع عصابات عملت على الحصول على العبيد بطرق شرعية وغير شرعية منها: الخطف عن طريق مهاجمة القوافل واسترقاق أصحابها، أو مهاجمة السفن في عرض البحر ونهب واسترقاق ركابها، أو مهاجمة أهالي المناطق الواقعة على السواحل الأفريقية وأسر بعضهم، كما تعاملوا مع أسواق نخاسة عالمية في أفريقيا عاشت على تجارة الرقيق وبيعهم إلى البلاد الأخرى عن طريق تجار من نفس هذه البلاد كانوا يتنقلون عن طريق البحر من بلادهم إلى القارة الأفريقية لجلب الرقيق إلى أسواق بلدانهم، وقد كانت اليمن من البلدان التي زاد الطلب فيها على الرقيق للحاجة إليهم، إلاّ أن هناك أسباباً مختلفة أدت إلى انتعاش تجارتهم، وزيادة الطلب عليهم، وأهم هذه الأسباب هي:

أ- إنها كانت تجارة مربحة لما كان عليها من طلب، مما دفع بتجار النخاسة إلى توسيع نطاق تجارتهم وزيادة استثمارها بفتح أسواق جديدة في البلاد الإسلامية التي كانت اليمن جزءا منها، وقد تعامل تجار النخاسة اليمنيون مع هؤلاء التجار لما تدره هذه التجارة من أرباح.

ب- كان لموقع اليمن على سواحل المحيط الهندي والبحر الأحمر دور في أن تصبح من بين أهم المحطات التي يتم إنزال الرقيق إلى سواحلها؛ ثم نقلهم برا إلى بقية

أقاليم الجزيرة العربية، ويبدو أن إنزال الرقيق في السواحل اليمنية ساعد اليمنيين على شراء أعداد منهم بأسعار معقولة.

ج- كان لقرب موقع اليمن من أسواق الرقيق لاسيَّما الأفريقية منها دور في تسهيل عملية نقلهم إلى السواحل اليمنية وبأعداد كبيرة وبتكلفة أقل.

د- انتشار الأسواق في اليمن التي كان لتجار الرقيق فيها رواج كبير، حتى أنها أصبحت أماكن لتجميع أنواع العبيد الذين يتم استيرادهم من بقاع العالم.

هـ- تشجيع حكام اليمن لتجارة العبيد لما فيها من دخل مادي وضرائب كانت تؤخذ على التجار في الموانئ وفي أسواق النخاسة اليمنية.

و- زيادة طلب الدول التي قامت في اليمن وملوكها وأمرائها على الرقيق؛ بعدما ازدادت الحاجة إليهم، وأصبح للملك أو للأمير أكثر من قصر ودار وبستان في حاجة إلى من يخدمها ويقوم بها، وقد وصل الأمر بهؤلاء الملوك إلى أن يصبح العبيد هم من يقومون بإلباسهم، وتزيينهم، وتقديم الطعام لهم، وحمل متاعهم الخاص بالنيابة عنهم.

ز- حاجة الحكام من غير اليمنيين إلى عصبية من حولهم، لاسيَّما وأن معظم هؤلاء كانوا من الوافدين على اليمن، وممن يفتقرون إلى عصبية تحميهم، فرأوا في العبيد والاستكثار منهم خير عصبية يمكن أن يواجهوا بها العصبية القبلية في اليمن.

ح- كثرة الحروب في اليمن، والحاجة الماسة إلى المقاتلين من أصحاب المقدرة القتالية، وهو ما دفع الملوك وكبار الأمراء إلى شراء العبيد المدربين على القتال، أو شرائهم وتدريبهم عسكريا ليكونوا جزءاً من جيش الدولة.

ط- اضطراب الأوضاع الأمنية وانتشار الفوضى وعدم الاستقرار، وحاجة كبار رجال الدولة والأثرياء إلى العبيد الأقوياء لحمايتهم والدفاع عن مصالحهم وأموالهم وأملاكهم.

ي- رغبة الناس وعلى رأسهم الحكام والأثرياء في اقتناء عبيد وجواري من مناطق عرفت بحضارتها وثقافاتها، وبمواصفات خاصة منها العلم والجمال والحسن والبياض، مما ساعد على أن يتعرف أهل اليمن على شعوب وثقافات جديدة كانوا يجهلونها.

ك- حاجة أصحاب المحاجر والمصانع والأراضي إلى الأيادي العاملة من الرقيق للعمل فيها، لما تميزوا به من قوة وقدرة على تحمل المشاق والمتاعب والجهد الكبير في المواقع المذكورة.

ل- حاجة عامة الناس إلى العبيد والجواري للخدمة في بيوتهم وتسهيل بعض أمورهم، منها: القيام بمتطلبات الشراء والطبخ والتنظيف والخدمة، والقيام بأمور سادتهم في البيت وخارجه.

م- زيادة الطلب على الرقيق من الجواري والسراري من قبل الملوك والأثرياء للتسلية وإحياء حفلات ومجالس الشراب والغناء والطرب والرقص، مما أدى إلى انتعاش أسواق الجواري اللاتي يخضعن لمواصفات خاصة يحددها المشتري، ويوفرها التجار من الأسواق العالمية المستوردة منها، مما أدى إلى انتعاش تجارة العبيد والجواري.

2- **مصادر الحصول على الرقيق:** مما لا شك فيه أن التجارة في اليمن كانت هي المصدر الوحيد للحصول على الرقيق في العصر الإسلامي، مع أن هؤلاء كان يتم الحصول عليهم بطرق مختلفة إلى أن يصلوا إلى أسواق النخاسة اليمنية ليباعوا فيها، علماً بأننا لم نجد في المصادر التي بين أيدينا أي معلومات عن مصدر أخر للحصول على الرقيق في اليمن غير التجارة، على الرغم مما تذكره بعض هذه المصادر من إشارات عن استرقاق وسبي بعض النساء والأطفال في المعارك التي كانت تنشب بين بعض الدول التي قامت في اليمن، مثلما فعل علي بن المهدي مع معارضيه في المذهب؛ عندما أمر بسبي واسترقاق ذراريهم [52]، ويبدو أن كلمة سبي التي كثيراً ما ترد في هذه المصادر بعد كل معركة ليس المقصود بها تحويل الأسير إلى عبد: كما هو متعارف عليه في نظام الأسر بعد الحرب؛ وإنما المقصود بها تحويل الأسير إلى رهينة حرب قابل إلى أن يتم فك أسره بالتحرير بالقوة أو بفدية أو بأي شيء يتفق عليه بين الجانبين، ومع كل ما ذكر عن هذا الاسترقاق إلا أننا من الممكن أن نعد ذلك عبارة عن أسر سياسي إذا جاز التعبير مرهون باتفاق بين طرفي الصراع، ولا يمكن أن نعده مصدراً أخر من مصادر الحصول على الرقيق، خاصة وأننا لم نجد في المصادر التي أشارت إلى هذا الاسترقاق أن أحداً من أبناء اليمن في العصر الإسلامي قد استرق في حرب وتحول إلى عبد، أو فقد حريته بسبب أسره في معركة ما مثلما كان حاصل في تاريخ اليمن القديم، وقد يقع أبناء الجهة المهزومة في الأسر، ويتم التعامل معهم كأسرى حرب وليس كعبيد، ومن ثم تتم المساومة عليهم للحصول على بدائل، منها: الحصول على مال أو تحقيق مطلب معين للمنتصر، إلا أن ذلك لا يعني أن الأسير فقد حريته وتحول إلى عبد مملوك للأسر، لما كان للأعراف والعادات القبلية اليمنية من ضوابط تفرض على المنتصر احترام الأسير والمحافظة عليه وحمايته حتى يتم تسليمه إلى أهله بالمقابل الذي يتم الاتفاق عليه بينهما، إلا في حالة أسر العبد المملوك في الحرب فإنه يظل على عبوديته التي تتغير من ملكية سيده إلى ملكية السيد الجديد الذي أسره في

المعركة[53]، مع العلم أن اليمن لم تعرف الموارد المختلفة الأخرى التي يجلب بها الرقيق التي تعد من أهم مصادر الحصول عليهم، مثل الأسر في الحروب، والخطف، والبيع لصاحب الدين والجريمة، وقد يكون جميع الرقيق الذين وجدوا في اليمن قد تم الحصول عليهم بالمصادر المذكورة قبل ترحيلهم إليها، ولكن في اليمن لا يتم الحصول عليهم إلاّ عن طريقٍ الشراء من أسواق النخاسة التي انتشرت فيها[54]، أي أن اليمن اعتمدت اعتماداً كلياً على التجارة والأسواق التجارية في الحصول على العبيد.

3- <u>أماكن استيراد الرقيق إلى اليمن</u>: تميزت اليمن في العصر الإسلامي بأنها لم تعمل على استيراد الرقيق من بلاد معينة أو جنس أو لون معين، بل كان هناك تغيير في نوعية الرقيق التي يتم استيرادها، وقد مرت عملية استيراد الرقيق بمراحل معينة فرضت على اليمن في فترات معينة استيراد رقيق بمواصفات خاصة لأسباب أهمها: انحصار علاقات اليمن بالمحيط الإقليمي المحيط بها، وعدم توسيع نطاق تجارتها بالعالم البعيد عنها، وحاجة عامة الناس في اليمن إلى عبيد ذوي بنية جسدية قوية تتحمل المشاق، وقد عملت اليمن في العصور القديمة والإسلامية إلى ما قبل العصر الأيوبي فيها على استجلاب الرقيق المستورد من القرن الأفريقي وسواحل شرق أفريقيا ووسطها، إضافة إلى ما يتم استقدامه من الهند من الرقيق للروابط التجارية الوثيقة التي ربطت اليمن بالهند تاريخياً[55]، وتعد أسواق الحبشة والسودان وزنجبار من أهم الأسواق التي كانت تصدر الرقيق، الذين كان يتم تجميعهم من قبائل أفريقية مختلفة سكنت هذه المناطق، حتى أنهم عرفوا بها لانتسابهم إليها قبل استرقاقهم، وأهم هذه المناطق مثلاً في السودان: بلاد النوبة التي ينسب إليها الحسين بن سلامة[56]، والوقعة شمال السودان حالياً في محاذاة الحدود المصرية السودانية[57]، وبلاد الحبشة[58] التي تعد من مواطن الرقيق الرئيسة والتي يصدر العبيد منها إلى أسواق الرقيق في اليمن والبلاد العربية الأخرى[59]. وقد ضمت بلاد الحبشة العديد من القبائل التي ينسب إليها الرقيق الذين كانوا يُباعون في أسواق اليمن، فكان منهم: السحرتي الذي يعود نسبه إلى إحدى قبائل الحبشة المعروفة بسحرت، وقد نسب إليها بعض عبيد بني نجاح الذين تولوا الوزارة أمثال أبي منصور مفلح الفاتكي، والجزلي الذي ينسب إلى جزل وهي إحدى قبائل الحبشة التي نسب إليها ملوك بني نجاح وبعض عبيدهم[60].

أما النوع الآخر من الرقيق الذين عُرفوا في اليمن مع الوجود الأيوبي فسموا بالمماليك، وقد اقتصرت هذه التسمية في البلاد العربية والإسلامية على فئةٍ من الرقيق الأبيض الذين يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة لتكوين - غالباً - فرقٍ

عسكرية لاسيَّما في أيام السلم، وإضافتها إلى الجيش العام في أيام الحرب، ثم أصبح المماليك الأداة الحربية في بعض الدول مثل دولة المماليك في مصر والشام، وكان حكام الشرق الإسلامي يشترون الرقيق المماليك صغارا في سن الطفولة وينشئونهم تنشئة عسكرية وسياسية ليكونوا جندا لهم في الصراع المرتقب ومساعدين في حكم الدولة[61]، وقد كان للمماليك حضور أو وجود كبير في الحملة التي أرسلها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ/ 1173م للاستيلاء على اليمن، وقد اعتمد عليهم سلاطين بني أيوب وأمرائهم في العديد من أمور الدولة[62]، وأصبحت ظاهرة امتلاكهم في اليمن خلال العصر الأيوبي من الظواهر المنتشرة بين صفوف بني أيوب وكبار قادتهم، ولم يقتصر الأمر على اقتناء أعداد قليلة منهم بل وصل الأمر إلى امتلاك المئات منهم، واستخدام أكثرهم في الأغراض العسكرية والخدماتية كحراس شخصيين أو خدم خصوصيين في القصور السلطانية أو للأمراء أو القادة العسكريين[63]، هذا إذا ما علمنا بأن المماليك لم يجلبوا إلى البلاد الإسلامية من أراضٍ معينة بل استوردوا من أسواق مختلفة، فمنهم من تم شراؤه من بلاد الترك أو الكرد أو من بلاد المغول أو من بلاد الصقالبة (بلاد البلقان)، وقد كان الأتراك والصقالبة أشهر الرقيق الأبيض في المجتمع الإسلامي[64]، ويبدو أن معظم من وجد منهم في اليمن كانوا من الأتراك والأكراد.

4- <u>أسواق الرقيق في اليمن</u>: تؤكد لنا أعداد الرقيق الكبيرة التي وجدت في اليمن في العصر الإسلامي أن هناك أسواق نخاسة متخصصة عملت على شراء وبيع الرقيق المستورد من الخارج إلى الموانئ اليمنية، شأنهم في ذلك شأن بقية السلع من خيول وتوابل وحديد وذهب وغيره من السلع التجارية التي كانت تصل إلى الموانئ اليمنية وتقام لها أسواق متخصصة للبيع، وقد عمد الناس إلى شراء الرقيق من هذه الأسواق، كما قاموا ببيع ما معهم من رقيق أيضا في هذه الأسواق، ويبدو أن تلك الأسواق كانت تحتوي على أعداد قليلة من الرقيق الذين يمكن أن يستفاد منهم في الخدمات البسيطة في القصور والدور والحقول، وهذا في تقديرنا ما دفع ببعض كبار القوى من القادة والأثرياء، ممن كانوا في حاجة إلى أعداد كبيرة من الرقيق بمواصفات خاصة غير موجودة في الأسواق اليمنية، إلى التواصل مع أسواق النخاسة الرئيسة في بلاد الحبشة وغيرها التي تعد أسواقها من أكبر مصادر الرقيق في العصر الإسلامي لتصدير أكبر قدر ممكن منهم، وبموجب المواصفات المطلوبة لدى السيد المشتري، وكان يتولى عملية السفر إلى الحبشة لاختيار هؤلاء الرقيق مندوبون على علم وخبرة بمزايا العبيد وعيوبهم، وهو ما فعله سعيد الأحول بن نجاح عندما أرسل

إلى بلاد الحبشة مندوبون عنه لشراء عدد كبير من الرقيق الذين وصل عددهم إلى عشرين ألف عبد. ومن الملاحظ أن الأعداد التي وجدت في أسواق النخاسة اليمنية لم تغط حاجتها من العبيد، إضافة إلى أن هؤلاء العبيد لم يكونوا يتطابقون مع المواصفات المطلوبة لديه والتي اشتُرط فيهم أن يكونوا على دراية وخبرة باستخدام السلاح من الحراب، لذلك أضطر إلى إرسال مندوبين آخرين ليشتروا له مثل هؤلاء الرقيق من أسواق الحبشة، وهو ما فعله أيضا الداعي علي بن محمد الصليحي سنة 459هـ / 1066م عندما استعان بحوالي خمسة آلاف عبد حبشي اشتراهم من أسواق اليمن[65] وكان مصدرهم الحبشة على ما يبدو.

وقد شكلت تجارة الرقيق تجارة مربحة اشتغل بها العديد من أصحاب الثروة اليمنيين الذين سخروا أموالهم لجلب الرقيق والمتاجرة بهم، ويعد الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير مفلح الفاتكي من أشهر من تاجر بالعبيد، ومن الملاحظ أنه قد تخصص في استيراد الجواري فقط، حتى أنه كان يؤهلهن قبل بيعهن ويعلمهن ويدربهن ليرتفع سعرهن، وقد خصص لهن دارا في زبيد يتعلمن فيه الغناء والرقص، ويقول عمارة[66] عن ذلك: " ولم يكن أحد من أهل تهامة يحجب عن حمير لا مغنية ولا أم ولد، لأن أكثر سراريهم ومغنيهم من تخريجه وتربية داره وتعليمه الغناء والطبخ وخزن الثياب وعمل الطيب "، كما عمل بالنخاسة تجار من الوافدين على اليمن عرفوا بالخواجات، لاسيّما في عصر بني أيوب الذي انتعشت فيه تجارة الرقيق[67].

وكيفما كان الأمر، فقد انتشرت أسواق النخاسة في مناطق مختلفة من اليمن، وتعد مدينة عدن هي صاحبة الصدارة في هذا المجال بسبب مينائها الذي كانت تصله السفن التجارية المحملة بالرقيق بشكل دائم، مما دفع بالسلطان الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب إلى فرض ضريبة تقدر بدينارين على كل رأس من الرقيق يتم إدخاله إلى ميناء عدن، وفرض نصف دينار على كل رأس يتم إخراجه من باب المدينة، حتى أن ذلك جعل عدن من أشهر مدن اليمن بيعا للرقيق ، وهو ما يؤكده ابن المجاور[68] عند وصفه لأحد أسواق الرقيق فيها، لما كان فيه من معاملات ملفتة للنظر عند بيع العبيد والجواري، فقد ذكر أنه يتم إخراج الجواري إلى هذه الأسواق وهن في كامل زينتهن، ثم يأخذ الدلال أو النخاس بأيديهن مناديا على المشترين من التجار، مشيراً إلى ما فيهن من مزايا الحسن والجمال والأصالة والجودة والعلم والذكاء، وموضحا سيرتهن الذاتية بنوع من الدعاية التي تجذب المشترين إليها وبأسعار قد ترتفع إلى فوق السعر المطلوب، وتعطي قوانين البيع والشراء في هذه الأسواق للمشتري حق فحص البضاعة والتأكد من صحة ما ذكر عنها من قبل الدلال أو النخاس، وقد

يصل بهم الأمر إلى التأكد من ذلك بأنفسهم، فيذهب كل واحد منهم إلى هذه الجارية ويقلبها أمام الناس في السوق دون خجلٍ أو حياء، وهو ما دفع ابن المجاور[69] إلى وصف تجار النخاسة وبعض المشترين بالفجار، بالنظر لما في تجارتهم من احتقار واهانة لكرامة هذا الإنسان الذي فقد حريته وأصبح شأنه شأن البهائم التي تعرض في الأسواق وتفحص قبل بيعها، وتركها إذا ما ظهرت عيوبٌ عليها، وكان النخاسون يلجأون إلى الحيلة لإخفاء العيوب التي قد تظهر على الرقيق، لاسيَّما الجواري فيجملون وجوههن قبل عرضهن، ويطيبون أفواههن بأطيب الروائح، وينعمون شعورهن، ويلمعون بشرتهن بالزيوت، ويعملون على الاهتمام بإبراز كل جزء في أجسامهن لإبهار المشتري وإغرائه، كما كان النخاسون في بعض هذه الأسواق يولدون أنواعاً من العبيد من أجناس مختلفة فينشأ منهم (المولدون) وفيهم محاسن الجنسين، وكان لكل جنس أوصافه المميزة؛ فمنه ما يتميز بالقوة والجلادة، ومنه ما يتميز بالوسامة والحسن، ومنه ما يتميز بالذكاء والفطنة، ومنه ما جمع هذه الأوصاف أو بعضها فكان أغلاها ثمناً[70].

وقد شجعت تجارة الرقيق التي عرفتها اليمن عبر الزمن على فتح أسواقٍ جديدة في مناطق متفرقة، منها: عدن وتعز وزبيد وحضرموت، لزيادة طلب الناس على شراء العبيد، لاسيَّما من قبل عِلية القوم في المجتمع والأثرياء منهم الذين استكثروا من العبيد في حياتهم الخاصة والعامة، مما شكل عبئاً كبيراً عليهم وعلى البلاد التي يقيمون فيها، وجاء بنتائج عكسية على اليمن فيما بعد.

5- <u>أنواع الرقيق ومميزاتهم</u>: لقد أشرنا سابقاً إلى أنه قد وجد في أسواق اليمن لونان رئيسيان من الرقيق؛ هما: الرقيق الأسود أو الأسمر الذي كان يجلب من أفريقيا والهند، والرقيق الأبيض الذي كان يستورد من شمال آسيا وأوروبا، ويسميه العرب الأحمر أو الأصفر، وقد كان مفضلاً عندهم على الأسود وأغلى ثمناً منه، لما في رجاله من بأس، ونسائه من بياض وجمال وشقرة يهواها العرب، وغلمانه من حسن ووسامة، فقد كان يجلب من بلاد متحضرة ذات ثقافة وفن، فغلا ثمنه وارتفع قدره على غيره من الرقيق، ونال حظوة عند الملوك والأثرياء الذين أكثروا منه في قصورهم[71]، ومع ذلك فثمة مميزات مختلفة وجدت في كل لون من هذه الألوان التي تحددها مواصفات خاصة عند استيرادهم، وقد خضعت تلك المميزات لشروط رئيسة تعد فيها الأصالة والجودة هي الأساس في تحديد سعر العبد أو الجارية، علماً بأن الرقيق كانوا يصنفون في هذه الأسواق مثلما تصنف البغال التي يتم فحصها بدقة، لتحديد سعرها، فيتم فحصهم والكشف عن أعضائهم كما تفحص البهائم[72]، ومن الملاحظ أن رغبة الناس في اقتناء العبيد قد اختلفت من شخص إلى آخر، فقد فضل بعضهم أنواعاً

معينة جيدة تتواكب وظروف حياتهم المختلفة، وفرضت الحالة المادية وقلة القدرة الشرائية لبعضهم امتلاك عبيد أقل جودة منهم، على الرغم من تفضيل بعضهم الجيد منها، إلاّ أن أوضاعهم المادية منعتهم من ذلك، وقد وجد في أسواق النخاسة في اليمن أنواع عديدة من الرقيق كان أشهرها:

أ- الرقيق الخصيان[73]: وهم من العبيد المماليك المخصيين المعروفين بالطواشية[74]، وكان يتم شراؤهم خصيصاً لخدمة قصور السلاطين والأمراء وحريمهم[75]، وبأسعار غالية تفوق أسعار بقية أنواع الرقيق، لقيامهم بخدمة نساء القصر دون خوفٍ عليهن منهم، ولقدرتهم الجسمانية على تحمل المشاق التي تعجز الجواري عن القيام بها، وقد عرف الواحد منهم بالخادم، كما عُرف المسئول عنهم بالأستاذ[76].

ب- الرقيق الفحول: وهم عبيد غير مخصيين، يباعون في أسواق النخاسة، على ما يبدو، بثمن أقل من المخصيين، وممن عُرف من الرقيق الفحول في عصر بني زياد: نفيس ونجاح عبدا الحسين بن سلامة، وإقبال ومسرور وبارة وسرور الذين كانوا من أشهر عبيد الحرة الملكة أم فاتك بن منصور بن نجاح، ويعود انخفاض أسعار الرقيق الفحول إلى قلة الطلب عليهم مقارنة بالمخصيين الذين يزيد الطلب عليهم في قصور السلاطين والأثرياء، لثقة الناس بهم في بيوتهم، لهذا عمل معظم الرقيق الفحول في الوظائف القيادية والاستشارية والجندية والحراسة[77].

ج- الرقيق الزنوج: وهم الرقيق الأشداء الضخام الأجسام الذين يتم جلبهم من زنجبار الواقعة على السواحل الشرقية لأفريقيا[78] لمزاولة الأعمال الشاقة التي تحتاج إلى قوة جسمانية، منها العمل في الأراضي الزراعية ولأوقات طويلة، والعمل في مقالع الأحجار، ونقلها إلى مواقع البناء في المدن أو القرى، ويذكر ابن المجاور[79] أنه قد وجد في عدن أعداداً من العبيد الزنوج الذين تم شراؤهم للأعمال الشاقة، ومنها قطع الأحجار من جبال عدن ثم نقلها على ظهورهم إلى داخل المدينة، وقد عُرف الزنوج بجلدهم في العمل حتى أنهم وصفوا بأنهم إذا صب عليهم العذاب صبا فإنهم لا يتألمون[80].

وقد حرص معظم سكان اليمن على اقتناء الأنواع المذكورة من العبيد، وأخذوا في شرائهم من أسواق النخاسة، إلاّ أن بعضهم فضل شراء صغار السن منهم الذين عرفوا بالغلمان، وتأهيلهم بأنفسهم وتربيتهم بالطريقة التي يرونها مناسبة، وللعمل الذي يريدونه، وكان الحسين بن سلامة ممن فضل شراء الغلمان من الرقيق وتربيتهم تربية خاصة لتأهيلهم عند الكبر، كذلك الحرة زبيدة والدة الملك فاتك بن منصور

بن فاتك بن نجاح التي امتلكت الكثير من الغلمان، وقد باعت لولدها فاتك عدداً منهم، وكان أشهرهم سرور أمحري الفاتكي الذي تربى في حجرها تربية خاصة فبرع وصار زمام مماليكها، ثم المسئول عن النساء في قصر ولدها فاتك، ووصل إلى منصب الوزارة فيما بعد[81]، كما عمل الملك الناصر أيوب بن طغتكين على شراء الرقيق صغار السن، وأخذ بالإشراف على تربيتهم بنفسه، على الرغم من أعدادهم الكبيرة التي لم تساعده على السيطرة عليهم، وقد بلغ من كثرتهم أنهم عندما علموا بموته مسموماً سنة 611هـ / 1214م على يد أحد قادته وهو غازي بن جبريل انتهبوا ما كان في داره من ذهب وفضة وأثاث وفرش وبسط، ولم يبقوا منه شيئا، ويحكى أن أحدهم دخل بيت الناصر وهو ميت ملقي على فراشه؛ فإنتزع الفراش من تحته حتى طرحه أرضا فإنسلخ شيء من جلده بسبب ذلك، كما أخذوا البغال والدواب وهربوا بها إلى تعز[82].

وفي الوقت نفسه، فضل بعضهم شراء نوع خاص من الرقيق المعروف بالوصفان والوصائف الذين يكون سنهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة تقريبا، أي ما بين سن الطفولة والمراهقة[83]، وهي سن بداية الخدمة والعمل المحددة للعبيد والجواري، وقد زاد طلب الملوك والأثرياء على العبيد الوصفان والوصائف المجلوبين من النوبة والحبشة في القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي فكان تجار النخاسة يستوردون منهم سنويا خمسمائة عبد، حتى أن الحسين بن سلامة من الوصفان الذين جلبوا من النوبة إلى اليمن في أيام بني زياد، وكان الشيخ علي بن القم وزير الوالي بزبيد من قبل الملك المكرم بن علي من أكثر من امتلك الوصفان، وكانت داره بزبيد تحتوي على العديد منهم[84].

رابعاً- الحالة الاجتماعية للرقيق:

مُيز الرقيق بمعاملة خاصة فرضتها التركيبة العامة للمجتمع اليمني الذي سن عادات وتقاليد تلزم العبد بالتقيد بها، وعدم تجاوزها لصفة العبودية التي حرمت عليه التعالي على سيده، وقد نُظر إلى أي تجاوز على أنه عصيان، لهذا كان للرقيق في مدة الدراسة وضعية اجتماعية خاصة، وأعراف نظمت علاقة العبد بسيده، وفرضت عليه عيش حياة معينة، والقيام بأعمال محددة.

1- موقع الرقيق في المجتمع والأعراف المنظمة لعلاقتهم بسادتهم:

نظر الناس إلى الرقيق نظرة احتقار، وتعامل أكثر السادة مع عبيدهم المملوكين لهم بشراسة، لاسيَّما الجنس الأسود منهم، وراح بعضهم يضربونهم بالسياط كما تضرب البهائم من الحمير والبغال دون رحمة، وممن عرف بذلك عثمان بن عبد الله الحوالي أخو يعفر الحوالي الذي كان يضرب غلمانه بالعصا ضرباً شديداً[85]، والحسين ابن الشاعر علي بن القم في عصر الملك المكرم الصليحي الذي كان يمتلك الكثير من الرقيق، وكان يضربهم بشدة بالسوط[86]، وعلى الرغم مما وصل إليه بعض هؤلاء العبيد من مكانة فإن صفة العبودية ظلت ملازمة لهم، وقد كان من المفروض أن تسقط هذه الصفة عن بني نجاح الذين أصبحوا حكام اليمن في ذلك العصر، ولكن افتقارهم للنسب الرفيع جعل الناس ينظرون إليهم نظرة احتقار مع ما وصلوا إليه من مكانة وسلطة وثراء، وهو ما أشارت إليه السيدة أسماء بنت شهاب في خطابها الذي أرسلته إلى ولدها الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي؛ عندما طلبت منه نجدتها بعد أن أسرها سعيد الأحول بن نجاح في زبيد سنة 459هـ / 1066م، إذ نعتته في خطابها بالعبد مع ما وصل إليه من مكانة لا تقل عن المكانة التي تبوأها ولدها المكرم في اليمن، فقد قالت عنه: " إني صرت حبلى من العبد الأحول "[87]، ويبدو أنها أرادت من نعته بالعبد تعريفه بنسبه ومكانته، فضلاً عن كونها رأت في ذلك إثارة لحمية ولدها وسائر قبائل العرب الذين عجزوا عن تحريرها من هذا العبد الحبشي.

ومهما يكن من أمر، فإن صفة العبودية لم تعطِ الحق للعبيد في أن يتداخلوا مع غيرهم من الأحرار في علاقات قد تصل إلى درجة الزواج والمصاهرة والاختلاط في النسب، لاسيَّما الرجل العبد مع السيدة الحرة، وترصد لنا كتب التاريخ بعض حالات الرفض هذه، وأشهرها ما ذكره الجندي[88] عن جياش بن نجاح عندما تقدم لخطبة امرأة من الفرسانيين أهل موزع – شمال شرق ميناء المخاء – الذين يعود نسبهم إلى قبيلة تغلب العدنانية، وقد رُفضت هذه الزيجة بشدة من أهل الفتاة وقبيلتها؛ لنسبه الذي يعود إلى الحبشة، ومع ذلك ألح جياش في طلب الفتاة، واستغل الوضع المادي لأهلها، وأغراهم بالمال الذي أبهرهم ودفعهم إلى الاستجابة إلى طلبه، ومن هنا نلاحظ أن هذه كانت من الحالات النادرة التي تمت فيها الموافقة على زواج عبد بامرأة حرة، وهو ما يدلنا أن بعض الميسورين من العبيد سعوا إلى التخلص من عبوديتهم بأموالهم التي دفعوا منها وبسخاء للزواج من نساء ينتمين إلى قبائل معروفة، مما قد يساعدهم على إنهاء بعض صفة العبودية التي إذا لم يتخلصوا منها فإنها ستلازمهم وتلازم

أبناءهم وأحفادهم ما حيوا على هذه المعمورة؛ ومع ذلك ظل العبيد يشعرون بالنقص والخوف من السادة الأحرار على الرغم من مكانة بعضهم التي وصلوا إليها، وهذا ما يذكر أيضا عن جياش بن نجاح الذي عرف عنه أنه متى ما سمع بمجيء المكرم الصليحي يفزع ويرتعد ويفر هاربا خوفا منه، في حين يظهر قوته وشجاعته وجبروته على منهم دونه من الضعفاء والبسطاء والمساكين[89]. وقد أعطت الأعراف الاجتماعية للأحرار من الرجال الحق في الزواج من الجواري المملوكات لهم أو لغيرهم، وقد شهدت منطقة تهامة العديد من الزيجات المماثلة التي نتج عنها ظهور جيل جديد من المولدين الذين جمعوا بين الصفات الشخصية للرجل اليمني والجواري السود من لون بشرة وشعر ولغة[90]، في حين لم تسمح تلك الأعراف بزواج العبد من الحرة مثلما لاحظنا إلا فيما ندر.

وقد أدت الزيادة في أعداد الرقيق في اليمن الى أن يشكل هؤلاء فئة اجتماعية لها وضعها الخاص، وعاداتها وتقاليدها، ولكن ما ميز هذه الفئة أنها كانت تقع في أسفل السلم الاجتماعي، ومع ذلك لم يكن العبيد في وضع اجتماعي موحد؛ فقد كان للمكان الذي يشترى لأجله العبد دور في تحديد نوعية حياته التي سيعيشها، فمثلاً عاش العبيد العاملون في قصور الملوك والأثرياء حياة تختلف عن حياة الذين كانوا يعيشون في الأسواق والمزارع والمحاجر والمصانع، وتميز العبيد والجواري الذين شروا لخدمة القصور بحياتهم المترفة ولباسهم الفاخر ولمعاملتهم التي يمكن أن نفرق بينها وبين حياة العبيد الذين تم شراؤهم للعمل في الأسواق[91]، وقد بلغ بعض هؤلاء العبيد مكانة عظيمة عند سادتهم رفعت من منزلتهم وأوصلتهم إلى أعلى الدرجات، مثل المكانة التي وصل إليها أبو محمد سرور الفاتكي عند سيدته علم أم فاتك بن منصور بن نجاح التي تقول عنه: " أنت يا أبا محمد وزيرنا، بل مولانا، بل رجلنا الذي لا يحل لنا أن نخرج عن طاعتك في شيء"[92] مع أنه كان عبداً مملوكاً لها.

وعلى أية حال، فقد أدت صفة العبودية وما تعرض له بعضهم من أعمال عنف من قبل سادتهم وعامة الناس إلى أن ترق قلوب بعض اليمنيين المالكين لهم فراحوا يعتقونهم لوجه الله تعالى؛ عل ذلك يساعدهم على العيش بصورة طبيعية في المجتمع، وممن ذكر بذلك الملك العزيز طغتكين بن أيوب الذي لم يمت إلا وقد أعتق جميع عبيده وجواريه، كما قام بالزواج من إحدى جواريه اللاتي اعتقهن وهي الست زهرة[93]، ويبدو أن عملية العتق كانت تصعب على العديد من السادة حتى أصبحت توضع من بين الشروط التي توقع بين المتحاربين، لما للعبيد من قيمة، فعندما عقد الصلح بين الإمام عبد الله بن حمزة و وردسار والي صنعاء من قبل الملك الناصر أيوب بن طغتكين

كان من بين أهم شروط الصلح أنه: إذا نقض أحد الأطراف ما أتفق عليه فأنه ملزم بعتق عشرين رقبة من بالغات المؤمنات المسلمات، وعتق كل مملوك يملكه، وعتق كل أم ولد عقب وضعها للولد عتقاً ماضياً[94]، علماً بأن العتق لم يكن يقطع الصلة بين العبد وسيده، بل تبقى بين الطرفين صلة تسمى الولاء، فالمعتق مولى العاتق، ويترتب على الولاء أن العبد يدفع دية عن مولاه إذا إرتكب جريمة قتل، وأن يرث السيد معتقه، ومولى العاتق يورث ولا يرث[95]، وقد فرضت التقاليد والأعراف على العبيد الالتزام بما هو سائر بين الناس فيما يخص نظام العبودية، وحتمت عليهم احترام ذلك، وعدم تعديه أو التجرؤ عليه، ومن أهم ما فرض عليهم: الخضوع لإرادة السيد وأوامره، والقيام بالعمل الذي يفرضه عليه، وعدم الركوب أمامه على الدواب أو وضع المظلة على رأسه تشبها به، وقد لقيت الأعمال المخالفة لذلك استنكار عامة الناس معتبرين ذلك نوع من العصيان والخروج على طاعة السيد[96].

2- الغرض من شراء الرقيق والأعمال التي زاولوها:

لقد جُلب الرقيق إلى اليمن للقيام ببعض الأعمال الخدماتية التي تسهل على سادتهم الكثير من متاعب الحياة، لاسيَّما الشاقة منها والصعبة والحقيرة التي يأنف الأحرار من مزاولتها والقيام بها، وكان السيد هو من يحدد عمل العبد بعد شرائه، دون أن يكون للعبد الحق في الرفض أو الممانعة، وتورد المصادر العديد من الأعمال التي ابتيع لأجلها الرقيق وزاولوها في بيوت سادتهم وقصورهم ومجالسهم ومعسكراتهم، فمنهم من تم شراؤه لغرض الدفاع عن سيده وحمايته والحفاظ عليه وعلى أملاكه وأمواله، والمشاركة فيما يتعرض له من حروب مع أعدائه[97]، وسخر بعض العبيد والجواري للقيام بالأعمال الخطرة التي قد تؤدي إلى موت هذا العبد أو اعتقاله، ومنها عمليات القتل التي يؤمر العبد أو الجارية بتنفيذها ضد المنافسين أو المعادين لسادتهم[98]، ويبدو أن نجاح العبد في تنفيذ هذه المهام يعد انتصاراً لسيده ضد من يريد التخلص منه، في حين أن فشله والقبض عليه أو قتله لا يعني شيئاً بالنسبة إلى سيده الذي لن يكلفه ذلك شيئاً سوى قيمة العبد أو الجارية المادية التي اشتراها به، الأمر الذي يؤكد لنا بأنه لم يكن للعبيد أو الجواري أي قيمة إنسانية عند سادتهم.

وفي الوقت نفسه، اشترى بعض السادة الغلمان صغار السن والوصفان بغرض تربيتهم وتهذيبهم وتعليمهم، وتنشئتهم تنشئة خاصة بغرض إدراجهم فيما بعد للعمل في مجال خدمة البيوت، وتربية أبناء سادتهم، أو تحمل مسئولية غيرهم من الرقيق، لاسيَّما في القصور الكبيرة والحصون التي يوجد فيها عدد كبير من العبيد، حتى أن

هذه الطريقة في التربية أدت إلى ظهور عدد من العبيد الذين برزوا بعلمهم وخبراتهم وقدراتهم على تحريك وتسيير الأمور التي يعجز سادتهم عن القيام بها، فأصبح منهم الوزير والأستاذ والمربي لأبناء الملوك والأمراء والأثرياء، وأصبح منهم الولاة للمدن والحصون الكبرى التي خُصص بعضهم لإدارة شئونها وتوفير متطلباتها، في حين بحث بعض السادة عن المتعة والرذيلة فاشتروا العبيد والجواري والغلمان الحسان لهذا الغرض خصيصا، وأشركوهم في مجالسهم للقيام بالغناء والرقص وتقديم الشراب والمشاركة في شربه[99]. كما أخذ بعض الناس في شراء العبيد بغرض تسخيرهم للقيام ببعض الأعمال المنافية للأخلاق، ومنها السرقة، وقطع الطريق، كما عمل بعض تجار عدن على شراء الرقيق الزنوج من الرجال والنساء وسخروهم للعمل في المحاجر لقلع الأحجار من الجبال ونقلها على ظهورهم إلى داخل المدن لاستخدامها في البناء[100].

3- الجواري وأوضاعهن في المجتمع:

سعي العديد من سكان اليمن في المدة المذكورة لاسيَّما علية القوم من الحكام والقادة والأثرياء إلى امتلاك الجواري من الإماء والسراري، وأخذوا يركزون على اختيار أجملهن وأفضلهن خبرة وأداء، وقد دفع هذا الاهتمام تجار النخاسة إلى جلب هذا النوع من الجواري والإكثار منه لزيادة الطلب عليه من قبل الكثير من أهل اليمن، لهذا كان يدخل اليمن سنوياً ألف عبد، منهم خمسمائة من الجواري الوصيفات، وقد حرص هؤلاء التجار على أن تكون الجواري اللاتي يتم إدخالهن إلى اليمن من بلاد عرفت بجمال وقوام جواريها، فكانت النوبة وبلاد الحبشة من البلاد التي فضل الكثير من الناس جواريها[101]، وقد تكون هناك أسباب أخرى موجودة في تركيبة الجواري الحبشيات أنفسهن أدت إلى أن يرغب فيهن الرجال من اليمنيين الذين يبحثون عن التسلية والراحة، علما بأن الجواري الحبشيات كن يجلبن أفضل الأسعار في البيع لجمالهن ودماثة أخلاقهن، ولوفائهن لمن يشتريهن[102]، ويذكر الترمانيني في وصفه للجواري الحبشيات نقلا عن ابن بطلان في رسالته عن العبيد أن: " الغالب عليهن نعمة الأجسام ولينها وضعفها... وفيهن خيرية ومياسرة وسلاسة وانقياد"[103]، كما فضل اليمنيون الجواري السودانيات المجلوبات من بلاد النوبة[104] لأنهن كن: " ذوات ترف ولطف وقصف، وأبدانهن يابسة مع لين بشرة قوية مع دقة وصلابة... وأخلاقهن طاهرة وصورهن مقبولة، وفيهن دين وخير وعفة وتصون، وإذعان للمولى كأنهن فطرن على العبودية"[105].

ومهما يكن الأمر، فقد فضل العديد من الناس الجواري الهنديات اللاتي يجلبن من الهند، ويعد بني نجاح من أكثر من فضل ذلك، حتى أن أم فاتك بن جياش كانت إحدى تلك الجواري [106]، وقد يكون ما وصفن به من: " حسن القوام، وسمرة الألوان، وحظ وافر من الجمال مع صفرة وصفاء بشرة وطيب نكهة، ولين نعمة... ووفاء عهد ومودة " من أكثر الأسباب التي دفعتهم إلى شراءهن [107].

وعلى أية حال، كان للمتغيرات التي شهدتها اليمن بدخول بني أيوب إليها دور في أن يضيف اليمنيون جنسيات أخرى من الجواري إلى ملكيتهم، وقد وجدوا في الجواري التركيات أفضلهن [108]، لما وصفن به من جمال، ويصف لنا ابن بطلان [109] ما ميز الجواري التركيات عن غيرهن بقوله: " قد جمعن الحسن والبياض والنعمة، ووجوههن مائلة إلى الجهامة، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة، ... وهن كنوز الأولاد، ومعادن النسل، وفيهن نظافة ولباقة ..."، ويغلب الظن أن هذه الصفات التي جمعت بين الحسن والجمال والذكاء والفطنة وحسن الذرية والنسل هي كل ما يبحث عنه الرجل العربي المحب للنساء، لذلك سارع أثرياء الناس من الملوك والأمراء والقادة والأئمة إلى شراء وامتلاك مثل هؤلاء الجواري اللاتي استكثرن في عصر بني أيوب، حتى أصبحن من أفضل مقتنيات كبار القوم، وأفضل ما يمكن أن يتهادون به فيما بينهم، وقد كان الشهاب الجزري والي صنعاء سنة 598هـ / 1201م، والإمام عبد الله بن حمزة ومن جاء بعده من أبنائه من أكثر من امتلك الجواري التركيات [110].

لقد دفعت الأعمال الشاقة أيضاً تجار النخاسة إلى استيراد نوع آخر من الجواري اللاتي عرفن بقوتهن الجسدية التي تمكنهن من تحمل المشاق والتعب لعملهن في الأراضي الزراعية أو في المحاجر، وهذا النوع من الجواري كان يستورد من بلاد أفريقيا وتحديداً من الزنوج شديدي السواد، ويصف لنا ابن بطلان [111] الزنجيات بقوله: " مساوئهن كثيرة، وكلما زاد سوادهن قبحت صورهن، وتحددت أسنانهن، وقل الانتفاع بهن، وخيفت المضرة منهن، والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب والرقص... وفيهن جلد على الكد، فالزنجي إذا شبع فصب عليه العذاب صبا فانه لا يتألم له، وليس فيهن متعة لصنانهن وخشونة أجسامهن"، ويذكر ابن المجاور [112] أن اليمنيين في عصر بني أيوب عملوا على شراء الجواري الزنجيات ليعملن في الزراعة، وفي المحاجر، وقد كن يقلعن الأحجار من جبال عدن ويقمن بنقلها على أعناقهن إلى داخل المدينة.

وفضلاً عن ذلك، كانت المتعة من أكثر الأسباب التي دفعت اليمنيين إلى امتلاك الجواري في قصورهم ودورهم بأعداد كبيرة، وكان الداعي علي بن محمد

الصليحي من الذين استكثروا من الجواري، فقد كان يوجد في قصره بصنعاء أربعمائة وصيفة، كما كان في قصر فاتك بن نجاح بزبيد ألف جارية لخدمته وتسليته، وكانت قصور المفضل بني أبي البركات في ذي جبلة والتعكر مليئة بالجواري المشهورات بقدرتهن على الرقص والغناء والعزف، وقد أهتم بهن المفضل وبلبسهن وزينتهن، وكن أحب إليه من نفسه[113]، كذلك امتلأت قصور الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود بالجواري اللاتي عرف عنهن إخلاصهن وحبهن لسيدهن الأعز، حتى أنهن كن يصرحن بأنهن لن يتوانين عن الدفاع عنه ولو حتى بقباقيبهن (أحذيتهن) إذا دعت الحاجة إلى ذلك[114].

ومن الملاحظ أن بني نجاح ونساءهم وولاتهم وأمراءهم ووزراءهم كانوا من أكثر من امتلك الجواري في قصورهم، كما كانوا من أكثر من امتلك العبيد، حتى أنه عندما مات فاتك بن جياش ومن بعده ابنه منصور بن فاتك كان معهم ألف سرية كان منهن عشر نساء كن من حظايا منصور بن فاتك، منهن الحرة الملكة أم فاتك بن منصور، والحرة أم أبي الجيش وهي مولدة وكانت لها بنت من منصور ابن فاتك، فلهذا قيل لها الحرة بسبب هذه البنت، وقد عرفت بجمالها الفائق وقدرتها على الغناء لحسن صوتها، ومنهن الحرة رياض، والحرة أم أبيها، وجنان الكبرى، وتمنى، كما امتلكت بنت معارك بن جياش بن نجاح التي وصفت بجمالها عدداً كبيراً من الجواري منهن أكثر من أربعين بكراً[115]، في حين امتلك قادة وولاة ووزراء بني نجاح العديد من الجواري الحسان، أمثال: الأمير عثمان الغزي الذي كان لديه العديد من الجواري أشهرهن الجارية وردة التي كانت موصوفة بجمالها وحسن صوتها عند الغناء، فضلاً عمّا امتلكته هي نفسها من الجواري ذوات الخبرة في الغناء والرقص والطرب لكبار الشخصيات من ضيوف وأصدقاء سيدها عثمان، وبلغ عدد جواري القائد علي بن مسعود صاحب حيس أيام فاتك بن منصور بن نجاح تسعين سرية، كما كان للوزير انيس الفاتكي من الجواري الحسان ما دفع سيده الملك منصور بن فاتك النجاحي إلى قتله وقطع رأسه والاستيلاء على جميع حريمه بما فيهن جارية عرفت بحسن صوتها وغنائها تسمى علم، وقد أنجب منها ولده فاتك، واشتهرت بين الناس بعد ذلك بالحرة الصالحة علم، لما كان لها من أعمال خير، فقد كانت تحج بأهل اليمن براً وبحراً، كما كانت تحميهم وتدفع عنهم الأخطار وما يفرض عليهم من مكوس (ضرائب) من قبل الدولة أو من قبل قطاع الطرق، في حين بلغت جواري وزير الملك فاتك المسمى إقبال عشرين جارية مغنية أشهرهن الجارية ناجية التي كانت من تربية تجار النخاسة، ويعد هذا النوع من الجواري من أفضل أنواع الجواري في التربية والأخلاق،

كما امتلك القائد سرور الفاتكي أكثر من مائة جارية كان يستعين بهن في أوقات الحروب فيلبسهن زي العسكر من الرجال ويشركهن في معاركه[116].

وقد دفعت الرغبة في اللهو والتسلية بعض التجار والأثرياء إلى استغلال مثل هذه الفرصة للمتاجرة بهذا النوع من الرقيق في أسواق النخاسة اليمنية بهدف كسب المال والثروة، بل إن بعضهم أخذ في استيراد الجواري وبأعداد كبيرة إلى اليمن، ثم أخذ بفتح دور خاصة لتعليمهن وتدريبهن على فنون الغناء والرقص والطرب، والتدلل عند مجالسة سادتهن أو ضيوفهم في حفلاتهم الليلية التي كثيرا ما كان يحييها كبار رجال الدولة والأثرياء، ويعد الشيخ حمير بن أسعد كاتب الوزير مفلح الفاتكي ممن تاجر بهذا النوع من العبيد، وقد عمل على تطوير تجارته بفتح هذه المراكز في زبيد للجواري ليتدربن على الغناء والرقص والطرب فيها، مما أكسبه ثروة طائلة، لتمييزه لأسعارهن عن أسعار غيرهن من الجواري اللاتي لا يعرفن سوى الأعمال الشاقة أو أعمال الخدمة والطبخ والتنظيف والتربية في البيوت، وقد وصل ترف كبار القوم الباحثين عن المتعة إلى درجة الاستكثار من الجواري المغنيات، وإلى أن يقيموا مجالس الشراب والطرب ليلا بوجود هذا النوع من الجواري والوصائف والساقيات وهن في كامل زينتهن ولباسهن، كاشفات عن مفاتنهن وجمال وجوههن أمام ضيوف سادتهن، في جو يعمه الغناء والرقص والمجون، وقد يصل بهم الأمر إلى شرب المسكر من الخمور وممارسة الرذيلة[117].

وكيفما كان الأمر، فقد بلغت محبة بعض السادة من الملوك والأمراء وعامة الناس للجواري إلى درجة الارتباط بهن والزواج منهن والإنقياد لرغباتهن، مما أضعف مكانتهم أمام غيرهم، لاسيّما بعد أن استمر بعضهن في القيام بدور الجارية المغنية الراقصة والزوجة المتسلطة قوية الشخصية، مع عدم تقبل بعضهن لواقعها الجديد الذي لم تستطع التعايش معه، لعدم قدرتها على المزج بين دور الجارية والزوجة، وقد أصبحت عملية زواج الجواري بسادتهن من الأمور التي انتشرت في اليمن في تلك المدة، لاسيّما عصر بني نجاح، إلا أن ما شوه ذلك استمرار الزوجات (الجواري) في الغناء والرقص والسكر أمام أزواجهن ورفقتهم، وهو ما لقي اعتراضا واستنكارا من قبل بعض المشايخ في ذلك العصر أمثال الشيخ مسلم بن سنجت وزير الأمير الشريف غانم بن يحيى الحسيني حاكم المخلاف السليماني، الذي أعاد ذلك إلى ضعف شخصية مثل هؤلاء السادة أمام جواريهم أو زوجاتهم[118].

ومع ذلك، فقد ظلت تلك الأمور باقية حتى عصر بني أيوب، مع أنها لم تكن بتلك القوة التي وجدت فيها في العصور السابقة، لقوة وحزم ملوك الدولة الأيوبية

وانشغالهم بصراعاتهم عن اللهو، فعلى الرغم من زواج الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بجاريته زهرة التي اعتقها بعد زواجه منها فإن شخصيته القوية طغت على شخصيتها، رغم جمالها الفاتن الذي دفع الخطاب إلى أن يتقدموا لها بعد وفاته مباشرة[119].

وقد عانت الجواري من ظلم تجار النخاسة الذين رأوا فيهن بضاعة مربحة لهم، فأخذوا يعرضوهن في الأسواق ويبالغون في تلبيسهن بأفضل أنواع الملابس المغرية والحلي والطيب والبخور للفت نظر الرجال، لهذا كن يتعرضن لأفظع أنواع المهانة والتجريح في هذه الأسواق من قبل المشترين الذين يمنح لهم عرف السوق الحق في فحص هذه السلعة بأيديهم وتقليبها للتأكد من سلامتها وصحتها، إذ يحق للمشتري فحص ولمس يد الجارية ورجلها وساقها وفخذها وسرتها وصدرها وثديها وظهرها، وأن يشبر عجزها، ويقلب لسانها وأسنانها وشعرها، ويحق له أن يعريها ويخلع ما عليها من ثياب ليرى ويبصر حتى عورتها، بل يحق له أن يتفقد ذلك بيده دون ستر أو حجاب، وتعد هذه الصورة التي رسمها لنا ابن المجاور[120] من أبشع ما كانت تتعرض له الجواري في ذلك العصر، مع العلم أن ما يتعرضن له في هذه الأسواق قد يزول بمجرد بيع الجارية واستقرارها في بيت سيدها أو في عملها الذي اشتريت لأجله.

4- أثر انتشار الرق في المجتمع اليمني:

لقد تركت تجارة الرّق وانتشار العبيد في اليمن آثاراً واضحة في جميع جوانب الحياة العامة؛ فعلى المستوى السياسي أدت الزيادة في أعداد الرقيق إلى زيادة قوة نفوذهم، لاسيّما لمن تم تربيتهم تربية سياسية وعسكرية ليتبوؤا فيما بعد مواقع قيادية في الدولة، حتى أن ذلك شجعهم على التحكم في مصير سادتهم وعامة الناس في الدول التي برزوا فيها، وهو ما لاحظناه في الدولة الزيادية والنجاحية والأيوبية، في حين هُمشت القيادات اليمنية وأُبعدت عن الحدث ليحل محلها العبيد الذين أصبحوا هم الحكام في البلاد، والوزراء في الدولة، والقادة في المعركة، والعسكر عند الحروب مثلما لاحظنا، وعلى ما يبدو فإن التهميش للعنصر اليمني والاعتماد الكلي على العبيد أدى إلى ركود الخبرات اليمنية، وانحصار مشاركتها السياسية، فأصبح دورهم هامشي لا قيمة له، مما أدى إلى انتشار الفوضى السياسية في عموم البلاد؛ لاسيّما بعد أن اشتد التنافس بين العبيد وبين حكام الدول اليمنية المعاصرة لدولهم الذين رأوا في دول العبيد التي أقاموها اغتصاباً لملك انتزعوه من أبنائه وهم أحق به؛ وهو ما أدى إلى استمرار الصراعات والفتن، كما أدى استكثار العبيد إلى إقامة تجمعات سكانية لهم في

مناطق عديدة، وشكلت تلك التجمعات بؤر فساد، وخطرا على المناطق التي وجدوا فيها مثل تجمعات العبيد التي وجدت خارج مدينة الكدراء القريبة من زبيد[121].

أما على **المستوى الاقتصادي**، فعلى الرغم من الفائدة التي اكتسبتها اليمن من الضرائب التي كانت تفرض على تجار النخاسة فإن اعتماد الحكام على العبيد في معظم أمورهم دفعهم إلى تخصيص ميزانية لشرائهم؛ مما كلفهم أموالاً طائلة استنزفت بسببها خزائنهم، مع أن تلك الأموال كان من الأولى أن تصرف في مصلحة الرعية الذين كانوا في أمس الحاجة إلى مشاريع تفيدهم وتحسن أوضاعهم.

ومن **الناحية الاجتماعية**، أدى التزاوج بين أبناء اليمن والوافدين عليها من الرقيق لاسيَّما في تهامة إلى ظهور جيل جديد من المولدين الذين جمعوا بين الملامح العربية وملامح العبيد وسلوكياتهم، خاصة بعد أن اختلطوا بالعبيد المجلوبين من أفريقيا، وهذا ما يؤكده قول الملك المكرم الصليحي عن عرب تهامة: " إعلموا أن عرب هذه التهائم يستولدون الجوار السود، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر"[122]. يضاف إلى ذلك، أن تنوع العبيد وتعدد جنسياتهم ولغاتهم كان له الأثر الواضح على لغة أهل تهامة العربية؛ فالتمازج والتزاوج أدى إلى التحريف في بعض حروف اللغة العربية ومخارجها[123]، وقد لا يظهر ذلك التغيير في اللغة في حينه، ولكن يكون الزمن كفيلاً بتغييرها، كما أدى التنويع في جنسيات العبيد إلى أن يتعرف اليمنيون على شعوب وثقافات جديدة، ومن ثم اكتسابهم معارف جديدة كانوا يجهلونها، مما أدى إلى تأثر اليمنيين بعادات العبيد وتقاليدهم ومعتقداتهم وأفكارهم البعيد بعضها عن عادات العرب وتقاليدهم، كما أدى انتشار الجواري المجلوبات للمتعة إلى تفشي الفساد بعد أن استغل بعضهن ذلك لكسب المال، في حين أثرت عملية استكثار العبيد وتنوع ديانات بعضهم ولو بشكل بسيط على المعتقدات الدينية التي كان عليها اليمنيون، كما أثر اليمنيون في هؤلاء العبيد بصورة ايجابية أدت إلى اعتناق معظمهم للإسلام، وتطبعهم بطبائع أهل اليمن وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم النابعة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

زبدة القول، إن اليمن في المدة المذكورة اشتهرت بكثرة العبيد الذين لم يكن دورهم فقط تقديم الخدمات المختلفة لسادتهم للتخفيف عنهم؛ بل إن بعضهم بلغ مبلغ السادة أنفسهم مع بقائهم على عبوديتهم، وقد أسهم هذا في أن يكون للعبيد دور في مختلف جوانب الحياة لما امتلكوه من قدرات مختلفة مكنتهم من البروز والمشاركة بعد أن أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع اليمني.

الهوامش والتعليقات:

(1) تذكر معاجم اللغة أن الرِّق هو العبودية، ويطلق الرقيق على الذكر والأنثى، وجمعه أرقاء. واسترق الأسير ملكه، والرقيق هو المملوك، ويقال رق فلان أي صار عبدا، ويقال سمي العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون له. الرافعي، أحمد ابن محمد علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج1، دار الفكر، بيروت، د. ت، مادة (رق)؛ **المعجم الوجيز**، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1425هـ/ 2004م، ص274.

(2) الترمانيني، عبد السلام، **الرِّق ماضيه وحاضره**، سلسلة عالم المعرفة رقم (23)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، نوفمبر 9978م، ص15 – 17.

(3) المرجع نفسه، ص40 – 42.

(4) الآلوسي البغدادي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج2، عني بشرحه تصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ص27.

(5) الترمانيني، **الرِّق ماضيه وحاضره**، ص44 – 46.

(6) للمزيد عن ذلك انظر: المرجع نفسه، ص44، 57 – 60، 74 – 78.

(7) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989م، ص436 – 437؛ الحديثي، نزار عبد اللطيف، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، المؤسسة العربية، بيروت، د. ت، ص70.

(8) الحمد، جواد مطر، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم**، دار الثقافة العربية، الشارقة، 2002م، ص198.

(9) المرجع نفسه، ص200 – 201.

(10) نفسه، ص201.

(11) انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، **ملوك حمير واقيال اليمن**، ط2، تحقيق: إسماعيل الجرافي وعلي المؤيد، دار العودة، بيروت، 1978م، ص151 – 153.

(12) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ج3، تحقيق: محمد أبوالفضل، دار المعارف،القاهرة،1961م، ص232.

(13) نقلا عن الحديثي، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، ص71 – 72.

(14) الحمد، **الأحوال الاجتماعية**، ص202.

(15) يحيى بن الحسين بن القاسم، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق: عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العربي، القاهرة، 1968م، ص85.

(16) أرسل الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد محمد بن زياد القيسي الذي كان من أعيان الرجال أمير على بلاد اليمن بعد أن وصل كتاب عامل اليمن إلى المأمون بخروج قبائل الأشاعر وعك عليه، وقد تمكن ابن زياد من دخول اليمن سنة 204هـ / 819م وفتح تهامة بعد حروب مع العرب، ثم إختط مدينة زبيد عاصمة له، واستقل بحكم اليمن مع بقاء الخطبة لبني العباس. عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي، تاريخ اليمن المسمى **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط3، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، 1985م، ص50 - 51. وانظر: السروري، محمد عبده، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (429هـ /1037م - 626هـ / 1228م)**، وزارة الثقافة، صنعاء، 1425هـ / 2004م، ص198.

(17) الحميري، **ملوك حمير واقيال اليمن**، ص147 - 152.

(18) الفقي، **اليمن في ظل الإسلام**، ص279.

(19) عمارة، **المفيد**، ص65.

(20) الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله، **كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار**، دراسة وتحقيق: عبد المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م، ص49 - 50.

(21) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص188.

(22) الحمزي، **كنز الأخيار**، ص56.

(23) المصدر نفسه، ص60؛ ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع، دار بساط، بيروت، 1409هـ / 1988م، ص145.

(24) الحمزي، المصدر نفسه، ص61؛ ابن الديبع، المصدر نفسه، ص147 .

(25) الحمزي، المصدر نفسه، ص62.

(26) عمارة، **المفيد**، ص65، (الهامش3) ؛ الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، ج2، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/ 1995م، ص478، (الهامش4).

(27) نجاح هو جد ملوك زبيد آل نجاح الذين أزالهم علي بن المهدي سنة 554هـ/ 1159م، ونجاح هذا هو أبو سعيد الأحول قاتل السلطان علي بن محمد الصليحي القائم باليمن بالدعوة الفاطمية المستنصرية، وهو أبو الملك أبي الطامي جياش بن نجاح. انظر: عمارة، المصدر نفسه، ص75.

(28) تعددت الروايات حول من تولى بعد وفاة الحسين بن سلامة، لهذا اعتمدنا على الرواية التي أوردها ابن جرير الطبري لمعاصرته للحدث، انظر: ابن جرير الصنعاني، إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري، **تاريخ صنعاء**، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء، د. ت، ص158 – 159 ؛ السروري، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن**، ص199 – 201.

(29) عمارة، **المفيد**، ص77.

(30) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص176 . وانظر: السروري، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن**، ص51 . ويعلق القاضي محمد بن علي الأكوع على هذه المعلومة التاريخية التي كان قد أخذها عمارة من كتاب **المفيد في أخبار زبيد** للحاكم النجاحي جياش بن نجاح، وهو كتاب مفقود إلى يومنا، إن فيها رائحة تعيير للصليحي وتعزير به بتصويره على أنه قائد جبان وعاجز عن المواجهة في أرض المعركة، وأنه لذلك لجأ إلى استدراج نجاح بحيلة الجارية المزعومة. انظر: عمارة، المفيد، ص95 – 96 (الهامش)، 98 (الهامش7، 8) ؛ بلعفير، محمد صالح، **العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية (دراسة للمصادر المكتوبة والأثرية)**، مجلة اليمن، العدد (25)، جماد أول 1428هـ/ 2007م، ص160 .

(31) عمارة، المصدر نفسه، ص156، 158 .

(32) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص182 .

(33) عمارة، **المفيد**، ص162 . وللمزيد انظر: السروري، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن**، ص202 – 206.

(34) عمارة، المصدر نفسه، ص166 .

(35) الحمزي، **كنز الأخيار**، ص88.

(36) عمارة، **المفيد**، ص168 - 169.

(37) عن صفات هؤلاء العبيد، ومكانتهم عند سادتهم، وأهم أعمالهم انظر: المصدر نفسه، ص180 - 184.

(38) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص249.

(39) الشمري، محمد كريم إبراهيم، **عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية** (476 - 627هـ / 1083 - 1229م)، ط2، جامعة عدن، عدن، 2004م، ص139 - 178؛ بلعفير، **العلاقات المذهبية**، ص145.

(40) ذي جبلة: مدينة شمال جبل التعكر، تبعد عن جبل صبر (60 كم). إسماعيل الأكوع، **البلدان اليمانية**، ص71.

(41) بلعفير، **العلاقات المذهبية**، ص146.

(42) الغز: هم جنس من الترك. ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، مادة (غز). وقد استعان بطائفة منهم جيّاش بن نجاح كانوا في مكة لحرب الداعي سبأ بن أحمد سنة 486هـ/ 1093م. عمارة، **المفيد**، ص109، 129، 148، 156، 158، 167، 172- 177، 182؛ السروري، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن**، ص657.

(43) عمارة، المصدر نفسه، ص153؛ الجندي، **السلوك**، ج2، ص504 - 505.

(44) عمارة، نفسه، ص187 - 189.

(45) نفسه، ص190.

(46) ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني، **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق: ركس سميث، لندن، 1974م، ص39، 45.

(47) ابن حاتم، المصدر نفسه، ص81 - 82.

(48) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص287.

(49) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص150، 152 - 153، 191.

(50) المصدر نفسه، ص116 - 117، 179، 185.

(51) نفسه، ص43 - 45، 149.

(52) عمارة، **المفيد**، ص188، 190.

(53) المصدر نفسه، ص188.

(54) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر**، اعتنى بتصحيحه: أوسكر لو فقرين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ / 1986م، ص145 - 146.

(55) جمال زكريا، **الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1977م، ص8 - 41.

(56) عمارة، **المفيد**، ص65.

(57) العارف، ممتاز، **الأحباش بين مأرب وأكسوم**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1975م، ص20.

(58) عرف الأحباش الجبليون - سكان الجبال - الإسترقاق ومارسوه منذ عُرفت الحبشة، وأمعنوا في استعباد الضعفاء من شعبهم

وسكان الأقاليم والبلاد الواقعة تحت سيطرتهم أجيالاً طويلة متباعدة، وأصبحت هذه الظاهرة جزءا راسخا من طابع حياتهم وتكوينهم الاجتماعي، حتى أن الشعب الحبشي وجد نفسه بمرور الأيام منقسما إلى طبقتين وأضحت المعالم: طبقة حاكمة رفيعة، وطبقة مستعبدة وضيعة. العارف، المرجع نفسه، ص134.

(59) المرجع نفسه، ص135.

(60) عمارة، **المفيد**، ص168، 172، 180.

(61) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م، ص226 - 237.

(62) الحمزي، **كنز الأخيار**، ص92.

(63) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص149؛ ابن الديبع، **قرة العيون**، ص287.

(64) البالوي، مصطفى حمدي بن أحمد الكردي، **قلائد الذهب في معرفة أنساب قبائل العرب**، تقديم وتعليق وشرح: كامل سليمان الجبوري، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2000م، ص247.

(65) انظر: عمارة، **المفيد**، ص156، 158، 162.

(66) المصدر نفسه، ص174.

(67) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص145.

(68) المصدر نفسه والجزء، ص141، 145 – 146. وانظر: هُديل، طه حسين عوض، **أسواق مدينة عدن في عصر الدولتين الأيوبية والرسولية وتأثيرها الاجتماعي والترفيهي**، بحث منشور في كتاب الندوة العلمية عدن بوابة اليمن الحضارية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2011م، ص339.

(69) ابن المجاور، المصدر نفسه والجزء، ص145.

(70) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأساليب انظر: الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص86 – 88.

(71) الترمانيني، المرجع نفسه، ص92.

(72) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص145.

(73) كان الخصاء يتم على أشكال، فيكون بقطع الأنثيين (الخصيتين) والقضيب وهو الجب، أو يكون بسل الخصيتين أو رضهما دون التعرض للقضيب، وبوسائل الخصي التي كانت تستعمل، وقد كان يموت بسببها الكثيرون وخاصة الصغار، وقد حرم الإسلام الخصاء واعتبره تعذيباً لا يحل أن ينزل بإنسان ولا حيوان، لما فيه من حرمان من حق الزواج واستمرار الحياة، ومع ذلك ظل الخصاء قائماً في العصور الإسلامية، وكان يمارسه اليهود مع عبيدهم. الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص92 – 94. ويبدو أن عملية الخصي كانت لا تتم في اليمن بل كان يؤتى بالعبيد مخصيين من بلادهم، لتحريم الإسلام لذلك.

(74) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص44 – 45.

(75) دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، 1990م، ص109.

(76) عمارة، **المفيد**، ص127، 182.

(77) انظر: المصدر نفسه، ص75، 177.

(78) جمال زكريا، **الروابط العربية الأفريقية**، ص14.

(79) **تاريخ المستبصر**، ج1، ص126.

(80) الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص90.

(81) عمارة، **المفيد**، ص75، 181.

(82) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص152 – 153.

(83) الزبيدي، **تارج العروس**، مج6، مادة (وَصَفَ).

(84) عمارة، **المفيد**، ص65، 165.

(85) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، **الإكليل**، ج8، حرره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت، د. ت، ص63 - 64.

(86) عمارة، **المفيد**، ص164.

(87) المصدر نفسه، ص106، 110.

(88) **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، ج1، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ / 1993م، ص254 - 255.

(89) المصدر نفسه والجزء، ص255.

(90) عمارة، **المفيد**، ص110.

(91) المصدر نفسه، ص129.

(92) نفسه، ص183.

(93) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص41، 85.

(94) المصدر نفسه، ص116 - 117.

(95) الفقي، **اليمن في ظل الإسلام**، ص283.

(96) عمارة، **المفيد**، ص76 - 77.

(97) المصدر نفسه، ص156، 158، 162، 165، 182؛ ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص185.

(98) عمارة، المصدر نفسه، ص98، 154.

(99) نفسه، ص65، 75، 126، 168 - 184.

(100) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص126.

(101) عمارة، **المفيد**، ص65.

(102) العارف، **الأحباش**، ص141.

(103) الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص90.

(104) عمارة، **المفيد**، ص65.

(105) الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص91. نقلاً عن ابن بطلان.

(106) عمارة، **المفيد**، ص163، 164.

(107) الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص89.

(108) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص87.

(109) انظر: الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص91.

(110) انظر: ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص87، 179.

(111) انظر: الترمانيني، **الرّق بين الماضي والحاضر**، ص90.

(112) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص126، ج2، ص175.

(113) عمارة، **المفيد**، ص129، 167، 169. وانظر: السروري، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة**، ص657، نقلاً عن: يحيى بن الحسين، **أنباء الزمن**.

(114) عمارة، المصدر نفسه، ص148.

(115) المصدر نفسه، ص169 - 170.

(116) للمزيد من التفاصيل انظر: المصدر نفسه، ص168، 169، 173 174، 179، 182.

(117) نفسه، ص167، 174 175، 176.

(118) نفسه، ص179 - 180.

(119) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص85.

(120) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ج1، ص145 - 146.

(121) ابن حاتم، **السمط الغالي الثمن**، ص80.

(122) عمارة، **المفيد**، ص73.

(123) المصدر نفسه والصفحة.